أنايس نن

اليوميات

مختارات

@ketab_n
Follow Me
30.12.2014

ترجمة

لطفية الدُليمي

@ketab_n

أنايس نن

اليوميات

مختارات

@ketab_n

ترجمة

لطفية الدُليمي

Twitter: @ketab_n

اليوميات

مختارات

Twitter: @ketab_n

مذكرات

المؤلف: أنابيس نن
ترجمة: لطفيّة الدليمي
عنوان الكتاب: اليوميات (مختارات)
الناشر: دار المدى
الطبعة الأولى: ٢٠١٣

جميع الحقوق محفوظة

دار المدى للثقافة والنشر

بيروت - الحمراء - شارع ليون - بناية منصور - الطابق الأول - تلفاكس: ٧٥٢٦١٦ - ٧٥٢٦١٧
www.daralamada.com Email: info@daralmada.com

سورية - دمشق ص.ب.: ٨٢٧٢ أو ٧٢٦٦ - تلفون: ٢٣٢٢٢٧٥ - ٢٣٢٢٢٧٦ - فاكس: ٢٣٢٢٢٨٩
Al Mada Publishing Company F.K.A. - Damascus - Syria
P.O. Box : 8272 or 7366. - Tel: 2322275 - 2322276 - Fax: 2322289

بغداد - أبو نواس - محلة ١٠٢ - زقاق ١٣ - بناء ١٤١
مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون
Email: almada112@yahoo.com

لا يجوز نشر أي جزء من هذا الكتاب أو تخزين أي مادة بطريقة الاسترجاع، أو نقله، على أي نحو، أو بأي طريقة سواء كانت الكترونية أو ميكانيكية، أو بالتصوير، أو بالتسجيل أو خلاف ذلك، إلا بموافقة كتابية من الناشر ومقدماً.

All rights reserved. No part of this publication may be reprocuced stored in a retrieval system, or transmitted in any form or by any means: electronic, mechanical, photocopying, recording or otherwise, without the prior permission in writing of the publisher.

ISBN: 978-2-8430-616-6

Twitter: @ketab_n

مقدمـــة أولى

لكي تكتمل ملامح أناييس الإنسانيّة والإبداعيّة

لطفيّة الدُليمي

كانت أناييس كاتبة مفعمة بالحيوية ومثيرة للالتباس، حدودها الإبداعيّة والإنسانيّة مفتوحة وممتدّة ولا يمكن أن تخضع لتوصيفاتنا ، بل إن فضاء حريّتها يصدم ثقافتنا وذائقتنا المبرمجة على قيم محدّدة، ويكاد أحياناً أن يجرح أحاسيسنا التي تأقلمت على قراءة محدودة لحريّة الإرادة وأبعاد الجسد وصبواته وهيامات الوعي واللّاوعي .

وقد صدمت للوهلة الأولى وأنا أقرأ مجلّدات "يوميّات أناييس نن"، وتوقفت برهة بما يشبه الممانعة الخجولة لما يحمله المدى الإنساني الاستثنائي وغير المألوف، إنّه فضاء لا يعرف مفردة التحريم وحدودها، ولا يتعامل مع التحايل الإبداعي والأقنعة، ما دامت المعالجة تنطوي على ما هو واقع في الحراك الاجتماعي والثقافي ومع ما يحمله من غرابة والتباس وتخليق واعترافات وبوح عن الاعماق .

ولأنّنا في مجتمعاتنا - نتعامل مع العمل الإبداعي ونسقطه قسراً على ذواتنا أو هكذا يفعل القرّاء ويصدرون الأحكام حين يتماهى القارئ مع النصّ ويسقط تماهيه على المترجمة أو الكاتبة، وجدت حرجاً كبيراً في التفاعل

Twitter: @ketab_n

مع يوميات أناييس بجوانبها المختلفة وعفوية سردها المتدفّق، ففي اليوميات تشكّل العلاقات الإنسانيّة المتن الأساسي وتبدو سلوكيات الساردة أناييس وأصدقائها وأقاربها وعشّاقها وجميع صانعي الحدث في يومياتها - في غاية التغاير والاختلاف مع عاداتنا وسلوكنا ومحرّماتنا، وبالتالي لم أجد الجرأة على ترجمتها. فآثرت اختيار مقاطع تخصّ نظرتها للابداع وعلاقاتها بالمبدعين ووجهة نظرها إلى الحروب والحركات النسوية واعترافاتها ببعض مواقف من علاقات إنسانية يمتزج فيها الإبداعي والنفسي بالاجتماعي واليومي، على أني راعيت اختيار المقاطع التي تقدّم لنا تصوّراً سخيّاً لأحداث القرن العشرين الثقافية والفكرية في سنوات التحولات التي أعقبت الحرب العالمية الأولى وما تلاها من تغيّرات في البنى الثقافية والاجتماعية وظهور الجماعات الفنية التي أصدرت بيانات تخصّ الأساليب الفنيّة والأدبيّة بعد الحرب ثم انعكاسات الحرب الأهليّة الاسبانية على المثقفين ونشوب الحرب العالمية الثانية ..

أناييس الحقيقية، هي ذاتٌ وقامةٌ إنسانية خصبةٌ وفريدة، تتعدّى حدود فضاءاتنا المأسورة بالمحرّمات ، مع الأخذ بالاعتبار أن فصولاً منها لا تتساوق حتى خارج فكرة التحريم - مع أمزجتنا وما نرى فيه حضوراً مقبولاً لعملنا.

لقد وجدت من الأمانة أن أترجم دراسة طويلة عن أناييس تتصدّى لكتابتها الإيروتيكية وتحلّل نزعاتها ومواقفها من موضوعة الأدب الإيروتيكي والجندر في التعامل مع الجنسانية و من خلال هذه الدراسة يمكن التطلع إلى عوالمها السفلية ونزعاتها المنفلتة وتهويماتها وهي تواصل البحث عن نفسها كأنثى وإنسانة ذات تكوين خاص وحسّية منفلتة، حتى إذا اقتضى الأمر الانغماس في مختلف أنواع العلاقات العشقية السوية والشاذّة والمرفوضة والمتجاوزة ، حتى إنّنا نجد في انشغالها بالإيروتيكا كما لو أنّها آتيةٍ من عالم مختلف يقع ما وراء إدراكنا وتخيّلاتنا ..

Twitter: @ketab_n

بهذه الدراسة التي تكشف عن الجانب الذي أهملته في مختاراتي من اليوميّات، قد أكون وفّيت حقّاً عليّ في إظهار أنايس بصورتها الحقيقية كما شاءت هي أن تقدّمها، وتمنّعت أنا فقدّمتها من جوانب أخرى لا تستدعي الأحكام المسبقة التي تساق بدوافع معينة ويحكم عبرها بتعسّف على المترجم او المترجمة وكأنه وكأنها متماهيان مع شخصية الكاتبة.

يبقى لمن يريد أن يكتشف عوالم هذه الكاتبة الخلّاقة أن يبحث عن نصوصها المترجمة، وإن كان يجيد الإنكليزية بوسعه أن يستمتع بالمجلدات الثماني ليومياتها الزاخرة بالجمال والغرابة والسحر والشعوذة والبحث عن المجهول والمختلق ومزج الواقعي بالمتخيّل والخوض في أعماق النفس البشرية وملاحقة مناطقها المعتمة وإضاءاتها وشبقها وجوعها ومخاوفها، إن شخصية أنايس نن الكاتبة والأنثى برأيي كانت تحاول المزج بين الأنثى البرية الكامنة في أعماق كلٍّ منّا والمرأة المتحضّرة ولذا كانت تترنّح بين عالمين متناقضين ولكل عالم رغباته وسلوكياته التي تتقاطع مع بعضها، فالمرأة البريّة الطليقة البدئية التي كشفتها لنا الباحثة والمعالجة النفسية والخبيرة بقصّ الأثر كلاريسا بيكولا في كتابها الفريد (نساء يركضن مع الذئاب) وقالت في مقدّمة كتابها وكأنّها تتحدّث بصوت النِّساء المكبوت طوال العصور:(إنّنا جميعاً نفيض شوقا وحنيناً إلى الحياة الوحشية البريّة غير أنّ ترياق الحضارة لا يترك لهذا الحنين منفذاً، تعلّمنا أن نشعر بالخجل من مثل هذه الرغبة، تركنا شعرنا يسترسل ووارينا به مشاعرنا، غير أنّ ظلّ المرأة الوحشية مازال ينسلّ خلفنا ويكمن في أيامنا ولياليا، وبصرف النظر عمّن نكون، فإنّ الظلّ الذي يهرول خلفنا هو في النهاية ظلّ يمشي على أربع).

لعلّ أنايس نن أدركت بفطرة الأنثى الخلّاقة أنّها تتوق إلى قرينتها المرأة البريَّة الراقدة في أعماقها وتعمل بوعي أو بدونه على استعادة الطبيعة الأنثوية الغريزية التي نهبت وسحقت كما تصفها كلاريسا - فقد انتهكت

Twitter: @ketab_n

الحياة المتحضّرة ونواهيها، العوالم الروحية للمرأة الوحشية طوال التاريخ وجرفت أراضيها وأحرقت براريها وأجبرت الدوائر الطبيعية فيها على التحول لمستويات غير منتظمة من أجل إسعاد الآخرين وإرضائهم ..

تقع أناييس نن بين إغوائين مثيرين :حياة المدينة ونزعات التحضر والخضوع للتقييم الاجتماعي بدرجة ما - وبين إغواء الأنثى البريّة التي لم تروّضها المجتمعات المعاصرة بكل مافيها من زيف وأغلال وقوانين كابحة، وتتجاذبها هاتان الحالتان، وعندما تصدّت مبكراً لكتابة النصوص الإيروتيكية كانت تستعين بخبراتها في التحليل النفسي وتستبطن نزعات المرأة الأصلية وتجرّبها من أجل تدوينها، وكانت تغوص في اللاوعي حيث تكمن الأنثى البرّية التي تملك جسدها وتحتفي به بصرف النظر عن جمال هذا الجسد أو قصوره وتتكلّم بأصالة عن نفسها دون وسيط وتكشف عن أوجه النشاط الفعلية لديها والمستمدّة من أبعد أعماق اللاوعي المحتفظ بذاكرة حياة البراري ..

في تفحّصي لمفردات حياة أناييس نن الخصبة، استعنت بآراء كلاريسا بنكولا، حول الفعل والتمنّي، حول النشاط والخمود، فأناييس لم تكن تتمنّى وتستسلم للقدر بل كانت تبادر و تفعل وتنجز، لا تستسلم للعجز الكئيب بل تنحو إلى التحقّق المندفع ، لذا لم تفقد حيويتها، بل ضاعفتها، وسخرت من التصنيفات الثقافيّة والفكريّة والنفسيّة التي تنتمي إلى خارجها وتخصّ الآخرين، إنها (ذاتها) إنها (هي) التي تبحث عن هويتها في الكتابة والإيروتيكا من منظور الأنثى مرّة ومن منظور الكائن المنطوي على أنوثة وذكورة ..

ينطبق توصيف كلارا بنكولا للمرأة البريّة على أناييس نن إلى حد كبير، تقول كلاريسا (إنّ المرأة القويّة تشبه إلى حدٍّ كبير الذئبة ، فهي نشيطة

Twitter: @ketab_n

مفعمة بالحياة والقوّة، تهب الحياة وتعي حقوقها، مبدعة وفية لما تريد ولمن حولها وهي دائمة التجوال والتبدّل والبحث عن جديدها المثير).

نلحظ في كتابات أناييس نن الروائيّة والقصصيّة ذلك النزوع إلى القفز والاستبدال والقنص ونهب الحياة والصور بقوة وشراسة أنثوية ممتعة، حتى أن مقاطع رواياتها تتشكّل بألف حالةكما تشكلات شظايا الكاليدوسكوب الزجاجية الملوّنة، إنها جامعة الشظايا الضوئية التي تجعل منها قطعاً أدبيّة تتجانس وتتنافر وتتناقض مع بعضها لكنها في النهاية تمنحنا صورة باهرة للحياة الجوانية ونزوات البشر وأوهامهم وأحلامهم ..

تشتغل أناييس نن في قصصها على سبر أغوار النفس البشرية والمضي بعيداً في الأحلام وتشظيات المخيّلة فهي لا تكتب ولم تكتب رواية تقليدية بالمعنى الحرفي للبناء الروائي المعتاد الذي يقلّد فيه الكتّاب بعضهم ويسيرون على هدي وصفة جاهزة كما يسير القطار على السكّة، يكتب أحدهم مثل هيرمان هيسة أو بروست أو أميل زولا أو تشيكوف أو يترسّم خُطى فولكنر او فيرجينيا وولف، أمّا أناييس فإنّها تكتب وتبتكر شكلها الأدبي لحظة تدوينه غير آبهة بالبناء المنطقي للعمل الروائي ولعلّي شخصيّاً تأثّرت بهذا النزوع منذ وعيت أهمية التفرّد في اختيار طريق خاص بي في الكتابة لا يشبه أحداً - وتعمل أناييس في النص كما لو كانت في حلم أو أنها تروي حلماً: تجمع شذرات لا رابط بينها ظاهرياً لكنّها تتقارب وتشكّل صورة متكاملة وغير مستقرّة تتنقل وتتجوّل في الأزمنة ويتّضح ذلك في كتبها: كولاج وبيت المحرّمات وتحت الجرس الزجاجي ..

وتتصرّف أناييس في السرد كما لو أنّ العالم حلم شاسع لا تحدّه حدود وليس عليها لترويه سوى أن تغرف من عجائبه وتشكل لوحتها الفرائبية، ويبدو لي أن عملها كمساعدة للتحليل النفسي مع الدكتور رانك والدكتورة

Twitter: @ketab_n

الليندي وتأثرها بكارل يونغ أتاح لها أن تعرف المزيد عن غوامض النفس وظلماتها ونزواتها وجموحها ..

لم تلفت رواياتها وقصصها القليلة انتباه النقاد إلّا بعد وفاتها في ١٩٧٧ بعقود إذ كان الاهتمام مكرّساً لمجلّدات يومياتها الثماني والتي ترجمت إلى معظم لغات العالم ، بينما أغرت قصصها الإيروتيكية المترجمين والنقّاد رغم أن بعضهم لم يجد فيها ذلك القدر من الفنّ القصصيّ لأنّهم يقيسونها بمساطر نقديّة وأقيسة جاهزة، كان الجميع مسحورين باعترافاتها في اليوميات و مفتونين بطريقتها في تعرية ذاتها ومجايليها ونقدها للحركات الفنيّة والأدبيّة كالسرياليّة وغيرها .

وأخيرا لنتذكّر قول كلاريسا بيكولا لنفهم أنايس جيداً (إن سبيل الشفاء من ضغوط عالمنا هو أن نحمل معنا الدواء الذي تمثّله القصص والأحلام والكلمات والأغاني والرموز) ولننتبه أيضاً إلى نقطة أساسية تذكرها كلاريسا وأدركتها أنايس نن تماماً وطبّقتها في حياتها وكتابتها وهي (إن اختيارنا للانضمام إلى ركب الطبيعة الغريزية ، لا يعني قط أن نبدل ونغير الأسود إلى أبيض واليمين إلى يسار ، وأن نتصرّف بجنون وفقدان سيطرة، وليس معناه أن نفقد انتماءاتنا الأساسية أو نتخلّى عن جزء من إنسانيتنا، بل العكس تماماً فالطبيعة الوحشية هي الدرع الواقي لنا).

Twitter: @ketab_n

مقدمة ثانية

اليوميات وفن الرواية: الحلم وفورة البركان

(١)

ـ كتب هنري ميللر سنة ١٩٣٧ عن يوميات الكاتبة (أناييس نن):

(.. سوف تحتل هذه اليوميات موقعها إلى جانب اعترافات القدّيس أوغسطين، وبترونيوس، وابيلار، وجان جاك روسو، ومارسيل بروست..).

ـ أين تكمن أهميّة هذه اليوميات؟

ـ برأيي أنّ أهميّة هذه اليوميات تأتي من كونها رؤية بانورامية لقرننا العشرين. رؤية إبداعية وعاطفية ونفسيّة لأحداثه ومبدعيه، وأهم المدارس الفنيّة والأدبيّة التي ظهرت خلال عقود الاحتدام الأولى التي عاشتها (أناييس نن) في باريس في صحبة أسماء مهمّة في ميادين الإبداع الأدبي والفنّي..

ـ عندما عزمت على ترجمة مختارات من يوميات هذه الكاتبة كان سحر الرؤيا الإبداعية الخاصة، وقوّة النفاذ، والحدس الانثوي إزاء أعماق النفس الإنسانية العوامل الأولى التي أغرتني بالعمل..

إنّ أهمية أي عمل أدبي تكمن في سعة الرؤية، ونفاذ البصيرة، والأمانة

Twitter: @ketab_n

في التعامل مع النصّ من خلال الأمانة مع النفس والآخر، وهذا هو هدف كل المبدعين الذين يقلقهم المسعى الإبداعي والمستوى الفنّي والخصوصية في الأداء.

لقد شاركتُ أنايس نن متعة الغوص في أعماق النفس الإنسانية ثم الامتداد إلى خارجها عن طريق معرفة الأعماق لتأسيس ارتباط حقيقي بالآخر والعالم المحيط..

جانب مهم وأساسي يميّز يوميات أنايس نن هو خط التطوّر الروحي والنفسي المتصاعد، والتغيّر الواعي في المواقف التي ترتبط بالأحداث وتشكّل القناعات الشخصية القائمة على تراكمات من التجارب والمعارف والرؤى.

من هذه المواقف موقف أنايس نن من الموضوعة النسوية، فهي تأخذ على المتعصبات النسويات أن يبدّدن طاقاتهن في البحث عن أسباب لمعاداة الرِّجال، وتدعوهن للانشغال بالإبداع الحقيقي الذي يكشف عن ذواتهن وأن يعملن لإقناع الرجال القريبين منهن بمشاركتهن في إنجاز التحرّر الإنساني من كل العوائق والمخاوف التي تنتاب الجنسين ليكون كل شخص حقيقياً وأميناً وواعياً لواقعه وقادراً على اجتراح أحلامه..

نجحت أنايس نن من خلال كتابة اليوميات أن تجري فصلاً دقيقاً بين العواطف والمشاعر والأفكار، واتّضح ذلك بأجلى صوره في موقفها من الحرب الأهلية الإسبانية وتطوّعها لمساعدة اللاجئين والفارين الإسبان إلى فرنسا، دون أن تنسى توجيه احتقارها للقَتلة من طرفي الحرب الأهلية، وصرّحت مراراً بنقدها للتجمّعات الماركسية التي أخذت تجيّر الموضوعة الإنسانية والإبداعية لصالح الأيديولوجيا وليس الإنسان، كما لم تتردّد لحظة من توجيه نقدها لشخصيات أدبية لامعة.

ارتبطت مجلدات اليوميات السبع التي تغطّي سنوات الثلاثينيات

Twitter: @ketab_n

والأربعينيات وصولاً إلى السبعينيات بمتابعة مجموعة من الأحداث والأسماء والإنجازات الفنيّة، وكشفت عن عدّة علاقات إنسانية فذّة بين أنابيس نن وعدد من مبدعي زمنها، منهم: هنري ميللر، ولورنس داريل، وانطونين آرتو، والمخرجة مايا درين، والشاعر جول سوبرفيل، ودرايزر، وسواهم من شعراء ورسّامين من إسبانيا وأميركا اللاتينية واليابان.

يتلخّص سحر حياة هذه الكاتبة في مفردة أساسية وبسيطة ومتاحة لمن ينجح في استغلالها: مفردة (الحركة) التي تنطوي على إمكانات ديناميكية خلّاقة. فهي ترى (الحركة) أسلوباً إبداعياً لتغيير عالمنا من عالم رث عتيق إلى عالم جديد مثير عبر الإبداع، والعمل، والرحلات، والعلاقات الإنسانية المصطفاة، وتذوّق الفنون، والاندماج في تيار الزمن بوعي الواقع مرة ومن خلال عبور الحلم إلى الواقع والعبور من الواقع إلى الحلم مرات ومرات. وقد اشتهرت أنابيس نن عالمياً من خلال نشر وترجمة مجلّدات اليوميات والروايات والقصص إلى لغات عدّة، كما اشتهرت في مستهلّ الأربعينيات بكتابها القصصي (دلتافينوس)، وهو كتاب نصوص إيروتيكية كتبت من أجل كسب سريع للمال لكنّها لم تتخلَ فيه عن براعتها الفنيّة وشعرية لغتها وخصوصية رؤيتها للعالم.

(٢)

ولدت أنابيس نن في ضاحية (نويي) الباريسيّة سنة ١٩٠٣ لأب إسباني كان يعمل عازف بيانو ومؤلّفاً للموسيقى، وأم ألمانية الجذور ابنة دبلوماسي ألماني يعمل في أميركا، وتوفيت بالسرطان سنة ١٩٧٧ في لوس أنجلوس. عاشت بين كوبا وفرنسا وأميركا، ثم استقرّت في العقود الثلاثة الأخيرة من حياتها في أميركا بعد أن أمضت بعضاً من طفولتها وشبابها في هافانا، ثم انتقلت إلى

Twitter: @ketab_n

باريس وعاشت حياة استثنائية حفلت بالأحداث وغزارة الإنتاج وتنوّع الأعمال التي قامت بها الكاتبة قبل أن تشتهر وتُعرف في الأوساط الثقافية الفرنسية.

عملت أناييس نن في مستهل شبابها عارضة أزياء، وموديلاً للرسّامين، وراقصة تؤدّي الرقصات الإسبانية، ومساعدة للمحلّل النفسي الشهير (د. أوتو رانك).

وعندما اقتحمت أناييس نن حياة باريس الثقافية والاجتماعية كانت لا تزال كاتبة مبتدئة مغمورة في عقد الثلاثينات، والتقت حينها بهنري ميللر، وانطونين آرتو، ولورنس داريل، وأسّست مع رسّام وشاعر منفي من (بيرو) اسمه (غونزالو) دار نشر صغيرة كانت تنفق كل ما تحصل عليه من أموال لمساعدة أصدقائها المبدعين. هنري ميللر والآخرين الذين كانوا يعيشون في عوز دائم..

من أهم مؤلفاتها:

دراسة نقدية عن (د. هـ. لورنس) وروايات: - شتاء الخديعة، وبيت سفاح القربى، وجاسوس في بيت الحب، وسلّم الإطفاء، وغرف القلب الأربع، وقصص (أطفال القطرس) و(تحت الناقوس الزجاجي) وكتاب (مدن داخلية) و(حديث امرأة).. إضافة لمجلّدات يومياتها السبعة والمجلّدات الثلاثة ليومياتها المبكرة..

قفز اسم أناييس نن إلى قائمة أعلى المبيعات في الولايات المتحدة وبريطانيا بعد وفاتها بشهور قليلة سنة ١٩٧٧، عندما ظهرت مجلدات يومياتها التي ترجمت إلى لغات عديدة، وكان العقد الأخير من حياتها حافلاً بالإنتاج ويُعدّ من أخصب سنوات عمرها رغم معاناتها من مرض السرطان

Twitter: @ketab_n

وخضوعها للعلاج الكيمياوي في مستشفيات نيويورك واليابان..

وقامت أناييس نن بإلقاء عدد هائل من المحاضرات في الجامعات والجمعيات الأدبية والفنية؛ فقد أهّلتها براعتها الأدبية ومنجزها لاحتلال هذا الموقع المميّز وتقديم خلاصات تجاربها للآخرين، وقد منحتها إحدى الجامعات درجة دكتوراه شرف تقديراً لإبداعها.

وكانت تحتجب أشهراً طويلة وتنغمر في الكتابة ثم تعود لتنضمّ إلى مجموعات أصدقائها ورحلاتها ومحاضراتها التي كانت تعيش من أجورها. وفي العامين الأخيرين من حياتها الحافلة أصبح من المتعذّر عليها التنقّل والسفر أو إلقاء المحاضرات، إلاّ أنها كانت تقاوم كل ذلك وتذهب لتحاضر أو تستقبل مجموعات من طلبة الجامعات من دارسي أعمالها.

وقد أشرفت خلال العامين الأخيرين على ترجمة من يومياتها المبكرة إلى اللغة الإنكليزية رغم وهن قواها وسقم صحتها..

صدر المجلد الأوّل من يومياتها سنة ١٩٦٦، وتمّ اختيار محتواه من بين جبل من الكرّاسات التي أودعتها أناييس في أحد بنوك (بيركلي) الشهيرة. وشكّل ظهور المجلدّد نقطة تحوّل حاسمة في حياتها وشهرتها..

كانت أناييس مولعة (بمارسيل بروست)، وأعلنت أنها كانت تقرأ كتبه كل عام، وكتبت عنه دراسات نقدية مميّزة..

قالت عنه:

لأنّه كان ينفذ إلى أعماق شخصياته - إلى منطقة لاوعيها؛ فإن شخصياته لا تكبر ولا تشيخ ولا تموت في مخيلاتنا بمرور الزمان، ولأن اللاوعي تيار من البوح والرؤى التي لا ينال منها الزمن ولا الموضات ولا التاريخ..

Twitter: @ketab_n

إنّه يسمو فوق الزمن، ولا يثبت تواريخ فوق أي شيء، وقليل من الروائيين من يستطيع الإفلات من بصمات الزمن وهم يتيحون للتجربة أن تأخذ مداها لمرّة واحدة.

Twitter: @ketab_n

مدخل

هذه دراسة تتقصى انشغالات أنايس نن في موضوع جندرية النص وإحالاته إلى الأنثى والذكر بخاصة في الكتابة الإيروتيكية التي تتباين فيها وجهة النظر الذكورية عن مثيلتها الأنثوية وقد حاولت أنايس اعتماداً على نظرية انطواء النفس البشرية على جزء مؤنث وآخر مذكر أن تبحث في هذا الجانب وتجمع في كتاباتها الإيروتيكية بين منظور الرّجل والمرأة لكنها لم توفّق في مسعاها دائماً إذ بقي منظورها أنثويّاً رغم بروز الشبق الذكوري في بعض المقاطع، فليس للشبقيّة الأنثويّة مرجعيات أدبيّة واسعة بينما نجد عدداً هائلاً من النصوص الإيروتيكية الرّجالية وخير مثال لديها هو هنري ميللر ود.هـ .لورنس الذي يخالف ميلر في نظرته للإيروتيكا ، ولم تكن أنايس تميل إلى أعمال المركيز دوساد التي توصف بالهمجيّة والتوحّش الفظّ واحتقار المرأة والآخر واستخدامهما كوسائل للمتعة المتطرّفة بل إن كتابات دوساد تُعدّ كتابة أدبيّة سيّئة تعوزها الحِرفيّة الفنيّة على حدّ توصيف ألبير كامو في كتابه (الإنسان المتمرّد)، من جهة أخرى تأثّرت أنايس بمارسيل بروست إلى حدّ ما ثم اكتشفت أسلوبها الخاص، وعاشت في حلم متواصل من المُتع والكتابات والرحلات والصداقات وكانت تُجهد نفسها في العمل لتُنفق على صديق أو أصدقاء تتوسم فيهم قدرة على التفرّد الإبداعي والفنّي على النقيض من النِّساء الأخريات اللائي ينتظرن أن يُنفق عليهن الرِّجال..

المترجمة

Twitter: @ketab_n

الجندر والإيروسية عند أنابيس نن

(مثل معظم الكَتاب فإن الحسّ الجندري لدى أنابيس نن يبدو متكاملاً في تناغم تام مع نمط كتابتها).

جنيفر جي. ماهير

قد تنطبق هذه المقولة بشكل خاص على كتابتها الإيروتيكية التي يطلق عليها بعض النقّاد (الإباحية) ومع أن أنابيس أقلّ شهرة ككاتبة روائيّة منها كاتبة يوميات إلّا أنّها حَظيت بمتابعات نقديّة مهمّة في السنوات الأخيرة تحديداً، واستحقت هذا الاهتمام على تخييلها الإبداعي وحقيقة كونها المرأة الأولى التي تصدّت للكتابة الإيروتيكية الحقّة من منظور أنثوي وكأنّ عملها بمعنى من المعاني مواجهة مع المنظور الذكوري للإيروتيكية ..

يتّضح بحثها عن خصوصية الكاتبة عبر النوع الإنساني –الجندر– على نحو جلي في أعمالها بخاصة في كتابها (دلتا فينوس) وكتابها (جاسوس في بيت الحب) . غير أن هذا البحث عن خصوصية جندرية كان مهيمناً بنفس القدر –على حياتها الشخصية وعلاقاتها (كما روت في يومياتها) وكان هذا المنظور واحداً من العناصر التي أضفت أهميّة استثنائية ومتعة كبيرة في مناقشة أعمالها ..

Twitter: @ketab_n

في الواقع أن كتابة أنايس عن الجنس ستبدو ملفتة للانتباه إذا ما استعرضنا عملها مقارنةً برؤية فوكو للجنس ، ففي كتابه (تمهيد -تاريخ الجنسانيّة) يقدّم فوكو موضوعة الجنسانية كنوع من مناظرة جافّة، يجزم فيها على أن الجنس يتخلّل جميع أوجه حياة المرء، ولأن الجنس وفقاً لتصوّرات فوكو – أمر معيق و مثبط للهمم – فإن العلاقة بين الكتابة والجنس تصبح موضوعاً قاسياً متحجّراً .

إنّ تلك الطاقة الجنسية التي تصطبغ بها جوانب الحياة الإنسانية هي ذاتها التي تشترك فيها العلاقة الحميمة بين الجنس والعمليّة الإبداعية مما يجعل موضوعة الجندر تفيض على نحو لا مفرّ منه من عمل المرء الأدبي، فالجندر بمعنى من المعاني – يخلق أو يوجد نوعاً من عامل مشترك بين البشر (بين الإناث - في حالة أنايس نن) وبهذا يصبح الجندر عنصراً أساسياً لتحديد تلك الهوية التي يسعى الكاتب والقارىء وحتى النّاقد لمعرفتها.

وفي مناقشتنا لموضوعة الإيروتيكية وأنماط الكتابة المُختلفة لدى الرجال والنساء يصبح من المهم أن نصوّر بدقّة تلك الاختلافات الجوهرية بين الإباحية –والإيروتيكا، وتكمن معظم الاختلافات -على الأرجح –بين الأسلوبين في مفهوم الإيحاءات المكشوفة، فالكتابة الإيروتيكية تنزع إلى توظيف التعبير الملطّف والاستعارات، وتميل إلى التلميح والمداورة في الإشارة للفعل الجنسي أو تبرقعه بلغة ناعمة رقيقة، أمّا الكتابة الإباحيّة فإنّها تركّز على الفعل الجنسي البليد المفتقر إلى الحسّ- ولذا تستخدم الألفاظ الصريحة – وغالباً الكلمات الفظّة الخشنة، و تميّز أنايس نن في مقالتها (الإيروتيكية لدى النساء) بين مفردتي إيروتيكا وبورنوغرافي : فالبورنوغرافي يعني لديها (الجنس في حالته البهيمية الوحشية والتعامل معه على نحو بشع لإرجاعه إلى المستوى الحيواني)، بينما ترى في الإيروتيكية (إيقاظاً للحسيّة دونما حاجة لحيونتها (إحالتها للمستوى الحيواني) وبهذه الحجة التي تقدّمها أنايس نن

Twitter: @ketab_n

في دراستها عن الإيروتيكية - تبدو كتابات الرجال التقليدية عن الجنس منضوية تحت تصنيف البورنوغرافي – لأنها تفتقر إلى اللغة العاطفية المجازية الرقيقة التي تميّز الكتابة الأنثوية وتبرع بها الكاتبات فبدون تلك اللغة واستخدام المجاز تبقى كتابات الرجال منسوبة إلى البورنوغرافي ..

يؤكّد الكاتب اليوناني الكساندر باباكريستو أنّ النساء يدركن بوضوح (إنّ اللّغة قد تكون أحيانا غير ملائمة، فكتابة مشاهد الحبّ تتطلّب إعادة اختراع اللغة وإعادة ابتكار الكتابة. فكتابة الذكور التقليديّة المبتذلة عن الجنس ليست طيّعة كفاية لكي تنجح في مراوحتها بين اللّغة النقيّة الخالصة وبين التعبير عن المشاعر العميقة) .

إن السبب الأساسي لكتابة أناييس نن الإيروتيكية ليس من أجل تبجيل ذاتها، فأعمالها تلك لم تكن نتاج تحدّيات المرأة لوظيفة الكاتبة الأنثى في المجتمع الباترياركي، لقد أغرمت أناييس نن بأعمال هنري ميللر (والذي صادف أنه كان أحد عشّاقها) ولم تكن كتبه محط اهتمام الناشرين ومعظم النقاد فبقي معوزاً محروماً وعاجزاً عن إعالة نفسه حتى تبنّت أناييس نن تلك المهمّة وساندته بتوفير احتياجاته المالية..

وتلقّى ميللر حينها عرضاً من أحد هواة جمع الكتب لكتابة قصص إيروتيكية مقابل ١٠٠ دولار شهرياً لأحد الأشخاص المهمّين المجهولين، من هو هذا الشخص المهم؟ لم يكن ميللر ولا أناييس ليخمنا حقيقته، ولسوء الحظ رفض ميللر العرض معتبراً هذا العمل أدنى من مستواه الأدبي ..

Twitter: @ketab_n

مقطع من أناييس

ثار هنري لأنّ مزاجه في تلك اللحظة كان مناقضاً للنزعة الرابليانية فالكتابة حسب الطلب كانت تمثّل له عملية إخصاء، ولأنّ الكتابة التلصّصيَّة عبر اختلاس النظر من ثقب المفتاح تسلب الكتابة عفويتها ومتعة التخييل فيها .

ومع أن هنري لم يكن ليمتلك أناقة الكتابة الإيروتيكية إلى جانب يقينه بانه لم يكن ثمّة عميل حقيقي طلب تلك القصص وإنّما هي نكتة بذيئة من جامع الكتب نفسه ..

وكان انطباع أناييس أنّ الأمر أشبه بعقاب دانتي –جحيمي لهنري بإرغامه على كتابة الإيروتيكا مقابل دولار واحد للصفحة الواحدة، ولكونها شخصية مجهولة بالنسبة لهاوي جمع الكتب الذي يعرف هنري فقد قرّرت أن تقوم بالعمل الذي طُلب من هنري وتورَّطت بما أطلقت عليه لاحقاً مصطلح (العهر الأدبي)، لم تكن مرتاحة لدلالات تأليفها أعمالاً عن الجنس الشرقي.

كانت قلقة حول سلوك كهذا (كتابة البورنوغرافي) أو ما الذي سيفعله بسمعتها ككاتبة أدب، وأحسّت أنّها ستنحّي جانباً عملها الحقيقي عندما بدأت تبحث في موضوع الإيروتيكا واتّضح قلقها المستتر شيئاً فشيئاً ولكنها أقدمت على كتابة القصص الإيروتيكية بناء على اقتراح هنري نظراً لحاجته إلى توفير نفقات رحلته المكلفة .

وللتخفيف من وطأة إحساسها بالخزي من هذا العمل بدأت تتجذب

Twitter: @ketab_n

إلى هذا النوع من الكتابة وكانت تتعمّد مناقشة حبكة القصص مع أصدقائها الفنّانين في مقاهي باريس وأشركت في ذلك أسماء شهيرة مثل هنري ميللر ولورنس داريل .. ولكي تصون سمعتها ككاتبة جادّة وكانت إلى حدٍّ ما قادرة على حماية صورتها من الارتباط بالكتابة الإباحية - لم يكن بإمكان أنانيس بسبب هذه المشاركات مع الآخرين – بل ومن المستحيل عليها التفريق بين القصص التي ابتكرت فكرتها والأخرى التي استعارتها من أفكار الآخرين .

ارتاحت أنانيس في النهاية وانسجمت مع مزاج الكتابة الإيروتيكية رغم أن طلبات جامع الكتب تضغط عليها (... قليل من الشعر ومزيد من الجنس!!) وكان هنري يواصل تضرّعه وتوسّلاته لها في طلب المزيد من المال ونجح عملها في الحفاظ على جو من المرح والحرية رغم جميع الضغوط التي تعرّضت لها ..

اقتربت أنانيس خلال مسيرتها المهنيّة من تبدّلاتها الإيروتيكية، وكان جزءاً من المشكلة أنّها اصطدمت وهي تحدّد مسارها بموضوع (جندر المؤلف) وتوجّب عليها أن تقرّر: إمّا أن تكتب من منظور الطبيعة الذكورية أو الأنثوية من خلال ما تدعوه ذكورتها الأنثوية أو من منظور خنثوي كالذي تعلّمته من عبارة (بودلير): «في كل واحد منّا هناك رجل وامرأة وطفل»

إنّ المزاج المتعارف عليه في الكتابة عن الجنس إنّما هو من منطلق ذكوري حيث يسرد الكاتب تجاربه بلغته الرجالية ومن وجهة النظر الذكورية التقليدية التي تعتبر الموضوعة الجنسية محض فعل فيزيولوجي والمرأة مجرد وسيلة أو أداة لبلوغ المتعة. ويميل الكتّاب الذكور إلى التفريق بين الحب والجنس كما كان يعتقد المركيز دوساد، وكما تقدّمه لنا روايات هنري ميللر بفجاجة وقسوة تمثّلاتها الجنسية وتعاملها الخشن والبذيء مع المرأة، وتبدو زوجته جون خير نموذج لشخصيات روايته ..

تؤكد أنانيس نن في دراستها (الإيروتيكا لدى المرأة) على هذا الجانب

Twitter: @ketab_n

فعندما تكتب المرأة عن النشاط الجنسي فإنها لا تعمد إلى تقليد هنري ميللر بسبب الشراسة المباشرة والفجاجة واللغة العدائيّة التي لا تروق لمعظم النساء.

لقد حاولت أناييس نن تجاهل فكرة الجندر وجاهدت لابتداع وجهة نظر محايدة ومعدَّلة غير أنها وجدت تلك المحاولة مجازفة فيها كثير من الاستحالة، فالجنسانية شأن ذاتي لا موضوعي لذا استقرّت أناييس نن أخيراً في كتاباتها الإيروتيكية على استخدام منظور أنثوي وأدركت أن ذلك هو السبيل الوحيد الذي يستطيع الجمع بين الحب والمتعة الجسدية، بخلاف الرجال، تعترف أناييس أن المرأة تحتاج الكلمات والإيماءات التي تحقّق الفعل الشهواني بصيغته المستقلّة والاستثنائية، وليس ذلك الفعل الجنسي الغُفل المجرّد والحيواني، وفي تصوّر أناييس ، أن المرأة هي من ستبتكر النوع الأدبي الإيروتيكي الذي يرتبط فيه الجنس بالمشاعر والحب، وباختيار الشخص المحدّد الموثوق وهذا ما سعت أناييس لإنجازه: شاءت أن ترينا جميع العلاقات وتوطّد سلاسة الارتباطات وعذوبتها فيما وراء الجنس لتحقّق العلاقة في بعديها الغرائزي والحدسي البداهي.

وفي الشكل الذي اختارته أناييس للكاتبة الأنثى نجد أن لغة أناييس ليست أكثر من خطاب عاطفي ومادته هي العلاقات العاطفية والجنسية، لقد أدركت أناييس أن لغتها لم تركِّز ولم تستخدم على نحو كافٍ في عالم الشهوانية والجنسانية الأنثوية ولذا لم تعبِّر تماماً عن وجهة النظر الأنثوية ولحسن الحظ فقد توفّرت لأناييس سوابق ذكورية لتقتفي خطاها كما صرّحت في حوار معها:

لقد كان ديفد هربرت لورنس أوّل كاتب يعترف بأنّ لدى المرأة جنسانية وحياة خاصة بها وأنّ ممارسة الحب يمكن أن تتحقّق مع المرأة .

وأكملت أناييس ما بدأه لورنس وكتبت لتلاحق هذه اللغة التي ستعينها في الكتابة الإيروتيكية فأتاحت لصوت الأنثى أن يرتفع عالياً.

Twitter: @ketab_n

نجحت أناييس في كتابتها الإيروتيكية أن توحد بين الشبق الرجالي الحيواني والتوق الأنثوي للرابطة العاطفية واستطاعت أن تواصل بيسر تتبع الأمثلة لدى الكتّاب الذكور كهنري ميللر، لكنّها اتّخذت قراراً واعياً لتقوية النموذج النسوي وإظهاره في النطاق الإبداعي الذي يعدّ ملكاً للرجال، وفي هذه الحالة يمكن القول أن المفهوم الذي تدعوه (رجولنسوية) لديها ساندها على المزج بين (الانيما) و(الانيموس) من دو ن أن تضحّي بنصف من هذا أو ذاك(*) .

> إن اليوم الذي ستفسح فيه المرأة مجالاً لما ندعوه الميزات الذكورية ويفسح الرجل مجالاً لما نسمّيه أيضاً الميزات الأنثوية سيعني أننا نعترف بخنثويتنا وأننا نمتلك شخصيات متعدّدة وجوانب متباينة علينا أن نتمّها لتتكامل مع بعضها ..

إن استخدام أناييس للورنس كمثال جعلها قادرة على ابتكار خطاب الجنسانية الأنثوية فقد ركّز لورنس على السياسات الجنسية وكان انشغال أناييس أيضاً في كتابتها الإيروتيكية بخاصة في قصة (المرأة المبرقعة) بخلاف نظرة لورنس المعاصرة حول ضرورة إيجاد قابلية ميتافيزيقية لتجديد الولع والشغف الشخصي والعام - نجده يشدّد على العواطف والعلاقات والجوانب النفسيّة لكلا الجنسين ، هذا هو الخطاب التجريبي الذي أدمجته أناييس في عملها الخاص، مُدركة بأنّ كتابة الرجل تؤثّر وتهيمن على مفاصل عملها:

"نحن مدينون للورنس على نحو أكيد لجهوده في إيجاد لغة خاصة

(*) قال كارل يونج بأن الإنسان ثنائي الجنس فالأنثى تمتلك بداخلها حسًا ذكوريًا يسمى الأنيموس وهو ميل للرجال بصورة تتوافق مع تلك الأنيموس الداخلية بذاتها وكذلك فالرجل يمتلك أنيما ويميل للأنثى التي تحقق له التوازن بين صورتها في نفسه والواقع الملموس له - المترجمة

Twitter: @ketab_n

كانت بالنسبة لي بداية عمل ريادي للنضال من أجل لغة هي ليست لغة عقولنا ومفاهيمنا وإنما لغة المشاعر والغريزة والعاطفة والحدوس، إنّها اللغة الأكثر تأثيراً وقوة".

أكدت أنابيس في حوار معها إيمانها بالتواصل عن طريق المشاعر والعواطف وعن طريق الأيقنة والأسطرة والحميمية الأكيدة وتجنّب المباشرة مشيرة إلى ان كتابات لورنس هي الأساس الذي استندت إليه جميع أعمالها وإنّ تنشيط الفكر وإيقاظ الأحاسيس هي الجوانب الأكثر أهمية في الحياة .

هيمنت فكرة حميمية العلاقات على جميع أعمال أنابيس فعلى سبيل المثال لدينا شخصية (سابينا) في كتابها (جاسوس في بيت الحب) – كانت تتوق للحصول على أبعد من حميمية الجنس مع الرجل في حياتها،أرادت أن تحصل على العلاقات الحميمة الحقّة والأكيدة والقائمة على التساوي والتعادل خارج فكرة الجنس ، وأكّدت أنابيس في مقالتها (المرأة الجديدة) أنها عندما كتبت اليوميات والقصص كانت تحاول القول إننا بحاجة لكلا الأمرين :الحميمية والمعرفة العميقة للكائنات الإنسانية.

إن تضمين فكرة جندرية العلاقات في أعمال أنابيس نن هي الأقرب شبهاً بتشعّبات تجاربها في حياتها الشخصية، فهي وإن كان لها محبّون عديدون، إلّا أن القلة من عشاقها كانوا ذوي أهمية في حياتها ، زوجها (هوغو) الذي كان يعبدها إلى الحد الذي كان يؤمن بأنها كائن لا يخطئ أبداً، (إدواردو) أحد عشّاقها الأوائل الذي كان مسحوراً بجمالها وجنسانيتها وكان يصاب بالجنون بدونها، (هنري ميلر) صديقها الأدبي وعاشقها الذي كان مغرماً بها وبشريكتهما زوجته جون التي كانت تمثّل لهما الحرية وعالم المحرّمات بشبقها المنفلت وإدمانها المخدرات والشراب . ولكن بين كل هؤلاء تعترف أنابيس أن حبّها المقيم والأبدي كان لزوجها هوغو، الباقون عشاق يحبونها ، أما حبّها الحقيقي والأبدي فقد منحته لهوغو وحده ..

Twitter: @ketab_n

لقد كان زواج الكاتبة من هوغو حالة منسجمة مع النمط التقليدي للحب: حب بين رجل وامرأة، نوع من حب ينضج ويكبر معه الناس، أغرما ببعضهما وتزوجا –ولم يكن الحال في منتهى السعادة المتبادلة كما يبدو ظاهراً – فهي كمثل بطلتها في قصة المرأة المبرقعة التي تتطلّع إلى أنموذج قياسي للرجل المعشوق وتصدم لدى اكتشاف الخيبة أحياناً في التعامل الواقعي ..

إن حقيقة كتابة أناييس للإيروتيكا لم يحط من قيمتها ومكانتها لدى معظم النسويات، فالإيروتيكا الأنثوية أتاحت للنساء التعبير عن أدوارهن في الميدان الجنسي لأن الإيروتيكية هي واحدة من المعاني الأساسية لمعرفة النفس وتقييمها. لقد كانت أناييس نن قلقة تماماً حول موضوعة (العار) التي توصم بها جنسانية المرأة ولم تكن سعيدة لتجاهلها إيّاها لكنّها تحدَّت الأمر وجابهتها .

ولكن إذا ما كتبت المرأة على نحو منفتح حول احتياجاتها فسوف تلعن، "أما أنا فقد سلّمت دائماً بالأمر وأفصحت عن شهيّتي الجنسية وأفسحت لها حيّزاً عظيماً في عملي" ..

لقد كانت أناييس نن مصدر إلهام لجميع النساءاللاتي يرغبن في أن يكنّ مقبولات في مجتمع يسيطر عليه الرجال لأنّها وإن كانت تحت الرصد.. فإن المجتمع لا ينبذها، وإن بعض النساء اللاتي يتحدَّين ويوسعن من حدود أدوار النساء فإنهن ينأين بأنفسهن ويحتفظن بالعذرية ولا يتزوجن ولا ينجبن وينقضن أنوثتهن، أمّا أناييس فقد تزوجت وخاضت تجارب في العلاقات الجنسية (كما أعلنت في يومياتها) ولم تفقد أنوثتها بعد أن أعلنت نكرانها لها ثم ما لبثت أن استعادت حيازتها لها. وكانت تقدّم نفسها أحياناً على أنها التجسيد الحي للأنوثة، وعاشت لتبرهن على أنّ بوسع المرء العيش خارج فضاء أحلامه أيضاً.

Twitter: @ketab_n

المجلد الأول

شتاء ١٩٣١ - ١٩٣٢

تشبه قرية (لوفيسانس) الضيعة التي عاشت فيها (مدام بوفاري) وماتت..

بيتي هنا بيت عتيق لم تمسّه الحياة العصرية ولم تؤثّر فيه وهو مشيّد فوق تلّة تطلّ على نهر (السين).

في الليالي الرائقة يستطيع المرء رؤية باريس في البعيد. للضيعة كنيسة قديمة تشرف على مجموعة من البيوت، شوارع مرصوفة بالحصى، وبضعة عقارات واسعة ومنازل مالك الضيعة وقلعة تقع على تخوم القرية.

يعود أحد هذه العقارات إلى (مدام بوفاري). خلال الثورة أعدموا عشيقها بالمقصلة وألقوا برأسه على جدار مكسو باللبلاب في حديقتها، وتقع هذه الأملاك حالياً ضمن ممتلكات آل (كوتية).

تحيط بالضيعة تلك الغابة التي كان ملوك فرنسا يمارسون فيها هواية الصيد ذات زمن..

هناك رجل مفرط البَدانة والبخل، عجوز يمتلك معظم عقارات (لوفيسانس)، إنه أحد بخلاء (بلزاك) يطالب بكل النفقات وأجور الترميم

Twitter: @ketab_n

وينتهي به الأمر دوماً إلى أن يدع بيوته في أسوأ حال يعلو نوافذها وأبوابها الصدأ ويخرّبها المطر وتغزوها الحشائش وتجتاحها المستنقعات ويدمّرها البرد..

وراء نوافذ بيوت القرية تجلس النساء المسنّات يراقبن الناس وهم يسيرون في الطرقات فيما تنحدر الطرقات بالتواءاتها نحو نهر (السين)، وعلى جانبي النهر تقوم الحانات والمطاعم ويقصدها الباريسيون أيام الآحاد يتناولون طعامهم ويتنزّهون في قوارب ذات مجاذيف على طول النهر كما كان يحلو للكاتب (غي دي موباسان) أن يفعل على الدوام.

يعلو نباح الكلاب في الليل، وتفوح من الحديقة أشذاء "زهرة العسل" صيفاً وروائح الأوارق الندية شتاءً، ويسمع صفير القطار الصغير الذي يربط بين القرية و(باريس).. قطار من طراز عتيق وكأنّه لا يزال ينقل شخصيات (مارسيل بروست) الروائية التي تأتي إلى ولائم تقام في الريف.

شُيّد منزلي قبل مائتي عام ويبلغ سمك جدرانه نحو ياردة واحدة، تحيط به حديقة فسيحة وله بوابة كبيرة من الحديد المطلي باللون الأخضر لمرور السيارات، وإلى جوارها بوابة أصغر منها لعبور الأشخاص.

تمتد الحديقة الكبرى وراء المنزل، أمّا في المقدّمة فثمّة ممشى مرصوف بالحصى للسيارات وبركة تحوّلت إلى مباءة للنفايات وتعرّش عليها نبات اللبلاب الانكليزي وبدت نافورتها وكأنّها شاهدة ضريح..

يطلق الجرس الذي يسحب الزوار حبله رنيناً كرنين أجراس الأبقار ويظلّ صداه يتردّد لفترة طويلة بعد تحريكه. وإذ يشرع بالرنين تترنّح الخادمة الإسبانية (إميليا) وتسير لتفتح البوابة الكبيرة فتمر السيارات على الطريق المرصوف محدثة قرقعة صاخبة.

Twitter: @ketab_n

للبيت إحدى عشرة نافذة تبدو بين التعريشات الخشبية التي يكسوها اللبلاب، وفي المنتصف تبدو إحدى النوافذ موصدة، وقد وضعت هناك لخلق نوع من التناظر في الواجهة، وكثيراً ما كنت أحلم بالغرفة السرية التي لم توجد قط وراء تلك النافذة المغلقة.

وراء البيت تمتد حديقة برّية فسيحة متشابكة الأشجار (لم تكن الحدائق المنسّقة تروق لي).. وفي أقصى الحديقة البرية منطقة حرجية فيها غدير صغير ينحني عليه جسر صغير مغطى بالطحالب والسراخس واللبلاب.

يبدأ النهار عادة بصوت قرقعة السيارة على الممشى المحصب، فتفتح (إميليا) مصاريع النوافذ وينهمر النهار.

ومع أول صوت لقرقعة العجلات فوق الحصى يتعالى نباح الكلب البوليسي (بانكو) وترتفع صلصلة نواقيس الكنيسة.

عندما أطلّ من نافذتي عبر البوابة الحديدية الخضراء أرى (بوابة السجن) فينتابني إحساس فادح بالظلم لأنني لم أستطع مغادرة مكاني أنّى شئت ذلك..

عندها أدركت أن مكانة الإنسان تتراوح بين حالتين:

بين أن يكون (شيئاً) وبين أن يكون شخصاً، وأن مسؤولية هذه الكينونة في تحويل الكائن ذاته إلى (عائق) تتأتى من أن العوائق والحواجز تقبع دوماً في أعماقنا..

وبالرغم من هذه المعرفة أجدني أواصل التحديق من نافذتي إلى بوابة السجن الحديدية العملاقة وكأنّني أرجو أن أجد عبر هذه التأمّلات انعكاساً للحواجز الداخلية في أعماقي والتي تحول دون حياة حرّة طليقة.

لقد اخترت هذا البيت لأسباب شتّى، منها أنّه يبدو وكأنّه ينبت ويتبرعم

Twitter: @ketab_n

من الأرض أشبه بشجرة، ويتلمّس وجوده بالامتداد عميقاً في أغوار الحديقة القديمة.

لم يكن ثمّة قبو وكانت الغرف تستقر مباشرة على الأرض.

أحسّ ذلك تحت السجادة. الأرض تحتها مباشرة..

بوسعي أن أتجذّر هنا، أحسّ بالتوافق مع البيت والحديقة وأستمدّ غذائي منهما شأن النباتات الأخرى.

كان أوّل شيء فعلته للبيت هو العمل على استعادة الحوض والنافورة اللذين كانا قد اندثرا - قمت بترميمهما - وخيّل إليّ أن الحياة قد بدأت تسري في عروق البيت بعد أن أشاعت النافورة المرح والبهجة بتدفّقها. تملّكني شعور بأنّني أهيّء كل هذه الأشياء استعداداً لقدوم الحب..

فقد أضفت - على سبيل المثال - ظلّة فوق السرير، وفرشت الأرض بالسجّاد الاحتفالي وكأنّني أجرّب ابتكار عالم يجعل البيت مؤهلاً لاستقبال المزيد من ضيوف الشرف.

بهذا الإحساس الغامر من الاستعداد كنت أتجوّل في أرجاء البيت أطلي ذلك الجدار الذي ظهرت عليه بقع الرطوبة، أو أعلّق مصباحاً ينشر الظلال المتراقصة على سجف السرير وكتل الخشب المتوهّجة في المدفأة.

قمت بطلاء كل غرفة بلون مغاير، فلكلّ حالة غرفة خاصة.

- الأحمر النبيذي لحالات التوهّج.

- الفيروزي الشاحب للحظات النكوص.

- اللون الخوخي للحنان.

- الأخضر للدعة والاسترخاء.

Twitter: @ketab_n

- والرمادي للعمل على الآلة الكاتبة.

الحياة الاعتيادية لا تروق لي.. إنني أتوق إلى اللحظات الخارقة كما السورياليين في نشدانهم للغرابة. أريد أن أكون كاتبة تنبئ الناس بوجود اللحظات الفائقة. أريد البرهنة على وجود فضاء لامتناه، ومعنى أبدي واتجاهات غير محدّدة.. لم أكن في حالة رضا وسعادة على الدوام. فثمّة أيام مشرقة وأيام محمومة وأيام تخمد فيها الموسيقى التي كانت تضج في رأسي فأبدأ برتق الجوارب - تشذيب الأشجار أو تعليب الفواكه وتلميع الأثاث وأجدني بهذا دونما صلة بالحياة..

- وعلى الضد ممّا أقدمت عليه (مدام بوفاري) لا أعمد إلى تناول السم ولكنّني أشرع بالكتابة..

انتهيت من كتابي عن (د. هـ. لورنس) الذي أسميته (دراسة لكاتبة هاوية). أنجزت الكتاب في ستين يوماً وذهبت إلى باريس لأقدّمه إلى (ادوارد تيتوس) الناشر.. لم يظهر الكتاب بالسرعة التي يأملها الكاتب وهو يخرج مخطوطته الساخنة من فرنه توّاً، الكتاب يبقى نابضاً في أعماق روحه..

أعطى الناشر المخطوط لمستشاره لإبداء الرأي في أمر نشرها.

- ريتشارد أوزبورن المحامي كان مستشاري القانوني بشأن حقوق نشر كتابي عن (د. هـ. لورنس)، وهو رجل يسعى للجمع بين شخصيتي المحامي اللامع والبوهيمي. كان يغادر مكتبه بعد أن تمتلئ جيوبه بالنقود متجهاً إلى منطقة (مونبارناس) لينفق نقوده ويدفع ثمن عشاء وشراب كل من يصادفه، وعندما ينال منه السكر يشرع بالحديث عن روايته التي بدأ بكتابتها، وغالباً ما كان يعود إلى مكتبه صباح اليوم التالي دون نوم وقد اتّسخت ثيابه وتجعّدت، فيحاول أن يصرف انتباه الزبائن عن مظهره المزري بمواصلة حديث متدفّق بارع لا يدع لمستمعه أيّة فرصة لمقاطعته أو الردّ عليه.

Twitter: @ketab_n

كان يتصرّف وكأنّه يلعب فوق حبل مشدود لا يستطيع معه النظر إلى الأسفل حيث يقف المتفرّجون لئلا يفقد توازنه ويهوي.. لكنّه سقط فعلاً في المسافة الممتدة بين مكتبه ومطاعم (مونبارناس) ولم يعثر عليه أحد لأنّه كان يخفي الوجهين معاً: وجه المحامي الرزين والبوهيمي المنفلت، وعندئذ يذهب للنوم في فندق مجهول مع امرأة مجهولة في الوقت الذي يفترض فيه أن يواصل العمل في مكتبه.

لهذا الرجل موضوعان للحديث لا يتوقف عنهما:

الأول: ما يتعلّق بموضوعة الانتحال، إذ يردّد أن عدداً من الأشخاص قاموا بسرقة رواياته ومسرحياته وأفكاره وهو يعدّ نفسه ليقدّم شكوى مستفيضة إلى القضاء لإقامة الدعوى على المنتحلين، ويقول إن إحدى رواياته المسروقة نشرت باسم شخص آخر كما قدّمت إحدى مسرحياته على مسارح (برودواي).

أما حديثه الثاني فإنه يخص صديقه الكاتب (هنري ميللر) الذي يقول عنه إنّه كتب كتاباً من ألف صحة وكلّ ما فيه مأخوذ من كتبه ورواياته السابقة، و(هنري يلوذ الآن بغرفتي في الفندق وقد تركت له خمس فرنكات) على المنضدة...).

- بعد أيام أحضر لي ريتشارد مقالة لـ(هنري ميللر) عن فيلم (العصر الذهبي) للمخرج الاسباني (لويس بونويل). كان المقال مثيراً ومتفجّراً ذكّرني بقول (د. هـ.لورنس) الذي أعلن: (أنا قنبلة بشرية)..

لمستُ في مقالة (هنري ميللر) نزعة بدائية ومادة جافية متوحشة تناقض كل ما قرأته لسواه من الكتّاب. كتابته تبدو لي مثل غابة عذراء.. ورغم قصر المقالة إلاّ أنها كانت تشبه القذائف التي تتفجّر بالأحقاد أو تمثال طبول حرب بدائية في حدائق (التويلري).

Twitter: @ketab_n

- أنت تعيشين حياة كهذه، متخفية في عالم مرهف، وتعتقدين أنك تعيشين الحياة.. وتقرأين كتاب (الليدي تشاترلي) على سبيل المثال أو تقومين برحلة أو تتحدثين مع ريتشارد، ثم تكتشفين بغتة أنك في قطيعة مع الحياة، وأنك سادرة في سبات يمكنك تحرّي أعراضه عليك بمنتهى السهولة..:

أوّلها هذا الخدر والتنمّل والاضطراب (عندما يغدو السبات خطيراً مؤدياً بالضرورة إلى التفسّخ والتحلّل في الموت)..

ثانيها، انعدام المباهج والفرح.. هذا هو كل شيء.. يبدو السبات مثل مرض غير خطير... رتابة - ضجر، موت، الملايين من البشر يحيون هكذا أو يموتون هكذا دون أن يدركوا أنّهم في سبات..

إنّهم يعملون في المكاتب، ويقودون السيارات، ويحملون الأطفال، ويتنزّهون، ثم يفاجأون بحالة خاصة كأن يقابلوا شخصاً ما أو يقرأوا كتاباً معيناً أو يستمعوا إلى أغنية فتوقظهم وتنقذهم من الموت..

البعض لا يستيقظ أبداً، مثلهم مثل من ينام في الجليد ولا يفيق بعدها..

لكنني لست في خطر، فبيتي وحديقتي وحياتي الجميلة لا تتيح لي الركون إلى الدعة أو الهدوء. لكنّني عارفة بأنني في سجن جميل ولا أستطيع الفرار منه إلاّ بالكتابة.

ولهذا كتبت كتاباً عن (د. هـ. لورنس) دونما منّة لأن لورنس هو من أيقظني.. أخذت الكتاب إلى (ريتشارد) فأعدّ عقد النشر، ثم تحدّث عن صديقه (هنري ميللر). لقد عرض مخطوطتي على (هنري) فقال هنري:

- لم يسبق لي أن قرأت مثل هذه الحقائق الراسخة معبّراً عنها بمثل هذه الرقّة..

قال ريتشارد: أود أن ندعوه للغداء..

Twitter: @ketab_n

قلت: نعم...

سيكون اللقاء مفعماً بالرقّة والعنف وسيكون التحدّي وجهاً لوجه.

الصورة التي استحضرها ذهني كانت صورة معمل الكيميائي، زجاجات بلورية رائعة مرتبطة ببعضها عبر منظومة من القنوات الكريستالية الرقيقة ولا ترينا هذه الزجاجات الشفّافة غير سوائل ملوّنة كالأحجار الكريمة أو غائمة أو محض دخان... تعطي للرؤية الظاهرية متعة جمالية مجرّدة، محاليل فتّاكة لا يعرفها سوى الكيميائي نفسه، أحسّ أنني أريد مختبراً مميزاً للروح - للنفس. لبيتي وحياتي - التي لم تبدأ بعد تجاربها الحيوية الخصبة ولا تخريبها ولا تفجراتها..

تستهويني أشكال الزجاجات وألوان الكيميائي..

أجمع وأقتني الزجاجات، وكلّما كانت أشكالها أقرب إلى زجاجات الكيميائي أحببتها لبلاغة أشكالها.

عندما رأيت (هنري) يسير باتجاه الباب حيث كنت أقف أغمضت عيني للحظة كي أراه بما يدعونه العين الداخلية. كان هنري دافئاً حميماً، مسترخياً مرحاً وطبيعياً، ومرّ وسط الحشد كأي شخص مجهول.

كان ممشوقاً ونحيفاً متوسّط الطول وبدا مثل راهب بوذي، راهب له بشرة وردية بصلعته الصغيرة المحاطة بشعر فضي لامع وفمه الشهواني الممتلئ.

عيناه الزرقاوان كانتا باردتين ويقظتين، لكن فمه كان عاطفياً وعرضة للغواية.

ضحكته معدية وصوته لطيف حميم كأصوات الزنوج، كان مختلفاً جداً ابتداء بقسوته وعنفه وحيوية كتابته وشخصياته الروائية وهزلياته (الرابلية)

Twitter: @ketab_n

ومبالغاته وابتسامته الوقحة عند زاويتي عينيه ونبرات صوته الليّنة. هنري رجل يمتلك حياة ثملة دونما حاجة للشراب، رجل يعوم في خفّة من ابتداعه الشخصي.

انفجر هنري بالضحك في منتصف الحوار الجاد بين ريتشارد وأخي (خواكين). استغرب ريتشارد للأمر..

قال هنري: أنا لا أضحك منك يا ريتشارد ولكنّني لم أتمالك نفسي، لأنّني أساساً غير معنيّ بمن هو على صواب.. إنني سعيد جداً.. إنني أشعر بالسعادة هذه اللحظة بكل ما يحيطني من ألوان وبهذه النار المتوهّجة في المدفأة، والعشاء الفاخر - النبيذ، اللحظة بأكملها في غاية الروعة..

كان يتحدّث ببطء كأنّما يتلذّذ بكلماته، إنّه يحتل اللحظة الراهنة بكاملها ويبدو مهذباً وعطوفاً.

اعترف هنري بأنّه جاء إلى بيتي لأن ريتشارد وعده بعشاء فاخر، لكنّه يودّ الآن أن يتعرّف إلى البيت كلّه، ويتحدّث إلى كل فرد يقيم فيه، ويعرف عمل كل شخص، ويطرح السؤال إثر السؤال بنوع من قسوة غير مقصودة..

تحدّث (هنري ميللر) إلى خواكين عن الموسيقى ومؤلفاته الموسيقية وحفلاته واتّجه ليصافح والدتي ثم تجوّل في الحديقة وعاد ليتفحّص الكتب، كان شخصاً مسكوناً بالفضول..

بعد كل هذا جلس قرب النافذة وبدأ يتحدّث عن نفسه:

".. أمضيت الليلة البارحة في دار السينما، لم يكن لدي مكان أذهب إليه، كان ريتشارد مع صديقته، شاهدت الفيلم ثلاث مرات لأنّ الممثّلة ذكّرتني بزوجتي (جون)، استرخيت في المقعد واستسلمت للنوم، في هذه السينما لا ينظفون القاعة إلاّ صباح اليوم التالي، أبصرت مسؤولة التنظيف،

Twitter: @ketab_n

لم تقل شيئاً، ما سمعت منها غير نأمة صغيرة، بعدها سمحت لي بالخروج. هل جرّبتم البقاء في دار سينما عندما تخلو من الناس؟ الأفلام تشبه جرعة من الأفيون وحال خروجك إلى الشارع تتعرّض لصدمة ويغدو من العسير عليك الإفاقة من حلمك.. ولكن عندما تبقى في السينما فإنّك لن تستيقظ أبداً.. ويواصل الحلم عمله فيك.. لقد استغرقني النعاس لبرهة ثم بدأت أرى الصور تتتابع على الشاشة ولم أعد أستطيع التمييز بين الحلم والفيلم.. رأيت زوجتي جون وهي تعلن لي ذات صباح في نيويورك:

"ما دمت تحلم بالذهاب إلى باريس لتصبح كاتباً، حسناً، لديّ بعض المال، لكن لن أرافقك.. سوف ألحق بك فيما بعد".

كانت قصّة الفيلم عن امرأة تكذب وتواصل الكذب وتتحوّل أكذوبتها إلى لعنة تحلّ بها ثم تتحوّل إلى حقيقة، كانت المرأة تتوق لأن تصبح ممثلة، فلفّقت قصة مفادها أنّ لها علاقة حب مع أحد أشهر الممثلين وأذاعت الحكاية فانتشرت على نطاق واسع حين روتها بأسلوب مثير مبالغ فيها فتصدّى لها (الممثل) وواجهها بالأمر فشرحت له السبب الذي اضطرها لاقتراف فعلتها ووصفت له المشاهد المفترضة التي حدثت بينهما بأسلوب ساحر جعله يبقى معها ويحقّق لها كل ما كانت قد لفّقته من أحداث كما لو أنّها كانت نبوءة..

زوجتي (جون) كانت تحرجني بالطريقة ذاتها. لقد بقيت في نيويورك لتكسب النقود لرحلتي، لا تسألوني من أين تأتي (جون) بالنقود.. كنت أحاول دوماً اكتشاف الحقيقة فأدخل في قصص معقّدة ومكائد ومقايضات عجائبية فأكفّ عن محاولاتي في التقصّي لأنّ كلّ ما تقوم به يحيطه جوّ من الشعوذة والحيل..

قالت لي: ألست تريد السفر إلى باريس.. هنري؟ سأتدبّر الأمر، وقد حان موعد استحقاق الإيجار، سوف أتحدّث إلى صاحب البناية..

Twitter: @ketab_n

ذكّرتني جون بالفجريات اللائي شاهدتهن في جنوب فرنسا، فما أن يصلن البيت حتى يخلعن تنوراتهن بسرعة ويخرجن دجاجة أو اثنتين كنّ قد سرقنها، كنت أشعر أنّ قصص (جون) محض أكاذيب ولكن لا برهان لديّ... كنت أدرك أن قدراتها في المساومة غير متأتية من الأشياء أو المهارات أو العبقرية الشخصية، بل من منح نفسها للآخرين.

كانت تقول لي: عليك أن تنصرف للكتابة وتدع الأشياء الأخرى لي..

لكنّني لم أستطع الكتابة؛ فقد أمضيت الوقت كلّه في محاولة فكّ اللغز:

- كيف تستطيع (جون) تدبّر كل هذه المشكلات دون أن تذهب لأداء عمل ما مثل سائر الناس؟

لم تكن قط تجيب عن الأسئلة المباشرة، كنت أدور حولها وأفعل ذلك عندما يتملّكني الغضب، وعندما تقرأ أي كتاب أعرف مقدّماً أو بعد حين أن أحدهم قد قدّمه لها وأن انطباعاتها عنه مستعارة من ذلك الذي قدّم لها الكتاب.

وفي أحيان أخرى تعلن للناس أنّها هي التي دفعتني لقراءة (دوستويفسكي) و (مارسيل بروست)..

.. أو، لماذا أتحدّث عنها بصيغة الغائب وهي التي ستصل بعد أسابيع قليلة..

يشبه (هنري ميللر) مخلوقاً أسطورياً، وتموج كتابته باللهب، كتابة متدفّقة هيولية، مضطربة، خدّاعة خطيرة: (عصرنا بحاجة إلى العنف).

أستمتع بسلطة كتابته، بقبح هذه الكتابة وتخريبها وجسارتها وتدفّقها.

هذا المزيج الغريب من عبادة الحياة وهذه الحميّا والتلذّذ الشغوف بكل شيء، الطاقة والخصب، الضحك والعواصف المدمّرة التي تربكني، كل شيء يهب عاصفاً: الرياء، الرعب، الشفقة، الزيف.. إنّها ثقة الموهبة بنفسها..

Twitter: @ketab_n

يستخدم هنري ضمير الشخص الأوّل في حديثه، والأسماء الحقيقية دون الألقاب، ويرفض السياقات والأشكال، يرفض الرواية نفسها..

كثيراً ما كنت أؤمن بحرية (أندريه بريتون)، أن يكتب المرء كما يفكّر، بنظام أو بفوضى وبالطريقة التي يحسّ بها ويفكّر، ويتّبع سلطة حواسه مع افتقاد التناسب بين الأحداث والصور ومنح الثقة للآفاق الجديدة التي يقود إليها قارئه.. (طقوس عبادة المعجزات).. وثمّة طقوس قيادة اللاوعي، طقوس الأسرار؛ الانفلات من المنطق الزائف..

إنّ طقوس اللاوعي كما صرّح بها (رامبو) ليست طقوس الجنون - بل مسعى لتجاوزالجمود والقوالب التي أوجدها العقل القويم.

كان (هنري ميللر) يمتلك مزيجاً غريباً من كل هذه الأشياء، وكان طبيعياً أن ينسحر بكتاب أو يخلب لبّه شخص ما أو تفتنه فكرة، إنّه موسيقي ورسّام. إنّ هنري يلاحظ كل الأشياء من حوله: يلاحظ الامتلاء الفاتن لقناني النبيذ، هسيس الحطب في المدفأة، ويختار من كل شيء ما يتيح له أقصى المتعة.

كان يستمتع بالحول الخفيف في عيني (إميليا) لأنّها تذكّره بالشخصيات في لوحات (غويا)، ويتذوّق ألوان الجدران: الألوان البرتقالية والزرقاء..

لقد ابتهج هنري بكل شيء هنا، بالطعام والأحاديث والشراب ورنين جرس البوابة وحيوية الكلب (بانكو) الذي كان يتجوّل ويلطم الأثاث بذيله، خيّل لهنري أنّني لا بدّ أعرف الكثير عن الحياة لأنّني مارست مهناً شتّى وعملت موديلاً للرسّامين عندما كنت في السادسة عشرة، كان يفاجأ بمقدار البراءة التي أملكها.

كنت أبحث في القواميس عن بعض الكلمات التي يستخدمها في حديثه غير أنّها لم تكن موجودة هناك..

Twitter: @ketab_n

بعد مغادرته، انهارت بهجتي، إذ فكّرت بأنّني لم أكن ممتعة له، لقد عاش هنري كثيراً جداً، عاش حياة مضطربة، قاسية ومفعمة بالأحداث، وكأنّه أحد شخصيات (دوستوفسكي) في الحضيض الأسفل، ولسوف يجدني إنسانة عديمة التجربة.

- ما شأني بما يظنّه هنري بي؟

لسوف يعرفني عاجلاً كما أنا، إنّ له عقلية ساخرة ولسوف أراني في هيأة كاريكاتورية.

ترى، لماذا يصعب عليّ التعبير عن أناي الأساسية؟

أنا أيضاً ألعب أدواري، فلماذا أبالي إلى هذا الحدّ؟

غير أنّي كنت شديدة المبالاة أهتم بكل شيء، العاطفية المفرطة والحساسية هما رمالي المتحرّكة، لقد فتنت بخشونة (هنري) وزوجته (جون). كان الأمر جديداً عليّ...

كان هنري يعلن عداءه للروائيين التقليديين لذلك وقع اختياري على (د.هـ. لورنس) وكرّست جهودي للكتابة عنه.

أنا لا أثرثر في مواضيع السياسة لأنّني أجهلها، لقد اخترت شيئاً بوسعي أن أحبّه وأنغمر فيه. فاستغرقني (هنري)... هنري الذي لم يكن متيقّناً حتى من نفسه والذي كان يوجّه النقد لنفسه. المخلص الذي يحمل في أعماقه بعضاً من قوّة عظمى..

كنت قد انهمكت في الحب، فما الذي يبغيه بعد؟

كان يريد كلّ شيء.. إنه يكاد يكون صعلوكاً، ينام أينما اتفق، في بيت صديق، في محطة قطار أو غرفة انتظار، على مصطبة في دار للسينما، في منتزه، إنّه لا يملك ثياباً وما يرتديه ليس له..

Twitter: @ketab_n

يعيد (هنري) كتابة أوّل كتبه (الديك المجنون)، إنّه يعيش يوماً بيوم، يقترض، يشحذ، يتطفّل، يريد أن يقرأ المجموعة الكاملة لـ(مارسيل بروست)، وضعت مع الرزمة بطاقات القطار لكي يتسنّى له المجيء لرؤيتي متى شاء ذلك.. لم يكن يمتلك آلة كاتبة، أعطيته طابعتي.. ولأنّه مغرم بالوجبات الفخمة صرت أطهو أطباقاً فاخرة باذخة. أريد أن أمنحه بيتاً ودخلاً وضماناً ليستطيع الكتابة..

حضر هنري ثانية هذا اليوم، تحدّث عن زوجته الثانية (جون).. جون المشحونة بالحكايا، كانت قد أخبرته بضع روايات عن طفولتها ومكان ولادتها، عن أبويها وجذورها المرقية..

كانت أولى قصصها تلك التي تقول إن والدتها غجرية رومانية تغنّي في المقاهي وتقرأ الطالع، وأن أباها كما قالت - كان عازف غيتار، وعندما هاجرا إلى أميركا افتتحا نادياً ليليّاً يرتاده الرومانيون غالباً حيث شكّل استمراراً لحياتهما في رومانيا.

سألها هنري عمّا كانت تفعله في مثل هذه البيئة؟ هل كانت تغني؟.. تقرأ الطالع؟.. أم تتعلّم الرقص؟ هل كانت تصنع الضفائر الطويلة وترتدي البلوزات البيضاء؟

لم تعر جواباً، كان (هنري) تواقاً لمعرفة المكان الذي تعلّمت فيه لغتها الإنكليزية الجميلة التي تتحدّث بها والتي تشبه إنكليزية المسرح التي يؤدّيها الممثلون الإنكليز.

اصطحبها إلى مطعم روماني وأنتظر ردود أفعالها واستجاباتها للموسيقى، الرقصات والأغاني، الرجال السمر الذين كانوا يلتمعون كنصال الخناجر هناك..

Twitter: @ketab_n

لكنها كانت قد نسيت هذه القصة ونظرت إلى المشهد بحيادية، وعندما حاصرها هنري لقول الحقيقة شرعت باختراع قصة جديدة..

حكت له أنها ولدت على الطريق لأن والدها كان ساحراً يعمل في السيرك وأمها بهلوانة تقفز على الحبال..

(أتراها تعلّمت هناك مهارتها في التوازن وسط الفراغ؟.. في الوقت الذي تتجنّب فيه كل التحديات والإيضاحات؟..

أتراها تعلّمت من والدها التمويه والخداع في حركة اليد الخفيفة؟.

قال هنري: وردت هذه القصة قبل تلك التي تدّعي فيها أنّ أباها كان مجهولاً. لا يعرف من هي. لقد انفصل عنها ليفدو الرجل الذي أثار إعجابها أكثر من أي شخص آخر..

قال هنري إنّها أخبرته في مرّة أخرى أن أباها (دون جوان)، وقد ترك إلحاده أثره البالغ في طفولتها وأعطاها الشعور بالعدمية واللادوامية والارتياب بالرجال.

وقد لفت انتباهها إلى هذا عندما ادّعت أنّ والدها كان (ساحراً) فلم يبدُ عليها الإرباك بل قالت:

- تلك حقيقة أيضاً، يمكن أن يكون المرء ساحراً ملحداً.

Twitter: @ketab_n

شباط ١٩٣٢

وضعت في متناول يدي رسائل (هنري ميللر) النفيسة، الهائلة: انهمارات.

كنت قد علّقت على جدران غرفة الكتابة لوحتين كبيرتين غطيتهما بكلمات كان (هنري) قد كتبها لي مع بانوراما عن حياته: قائمة بأسماء أصدقائه وعشيقاته والروايات التي لم يكتبها، الروايات التي كتبت، الأماكن التي زارها وأسماء أولئك الذين يعتزم زيارتهم.

كانت اللوحتان مزحومتين بملاحظات عن روايات المستقبل.

كنت أقف بين (هنري ميللر) وزوجته (جون)، بين قوّته البدائية التي يشعر معها بالأمان (وهذه حقيقته الكبيرة) وبين أوهام (جون) وانفلاتاتها من الوهم.

كنت أحسّ بالمرفان إزاء غنى وامتلاء شخصية هنري ميللر، كنت أود أن أردّ على هذا الأمر بالفيوض والتدفقات التي توازي غناه، ولكنّي وجدت نفسي أحتفظ بأسرار معيّنة كما فعلت (جون)..

هل كنت أشفق من السخرية؟

كنت أرجئ التمرّدات...

إعتقد هنري أن (جون) أغوتني.. لكنّه سيعرف الحقيقة من خلالي في

Twitter: @ketab_n

النهاية.. مثلما فعل (مارسيل بروست) عندما كان يتحدّث في غاية الانتشاء مع صديقة لـ البرتين ذاتها التي كانت تكتم عنه كل شؤون حياتها..

لقد وعدته أن أقوده وآخذ بيده إلى عالمنا.. عالمي..

إنّه لأمر ممكن تماماً أن أكون أشدّ كتماناً من (جون).. أكثر خوفاً في الإفصاح عن نفسي..

لطالما عانيت بسبب تعدّد (وجوه الشخصيات) الذي كنت أسمّيه في بعض الأحيان (ثراءً) وأراه في أيام أخرى نوعاً من وباء متكاثر.. كالسرطان..

إنّ أوّل تصوّر يخطر لي عن الناس يتساوق تماماً مع الكليانية بينما كنت أتشكّل من مجموعة (نفوس)، أتكوّن من شظايا...

كنت أعرف أنّني مشوّشة مثل طفل اكتشف توّاً أن للإنسان حياة واحدة، فأردت أن أعوّض هذا الواقع بتعدّد التجارب. أو لربّما كان يبدو وكأنّك تندفع وراء جميع النزوات فتأخذك في اتّجاهات مختلفة.

وعلى أيّة حال - فإنّني عندما أكون سعيدة - ويحدث هذا في ابتداء الحب وعذوبته، أحسّ وكأنّني وُهبت حيوات متعدّدة..

كان من اليسير على (هنري) أن يقول عن (جون) إنها امرأة صادقة.. كان لنا أن نكون جميعاً صادقين إزاء اللحظة النابضة.. إزاء الحياة وليس إزاء من نحب..

كنت قد وقعت في فخ جمال (جون) وموهبة (هنري)، وكنت أمنح كلاً منهما شيئاً منّي يتّجه إلى شخص كلّ منهما.

الكاتبة القابعة في أعماقي كانت تجد متعة مع (هنري).

هنري يمنحني عالم الكتابة.

Twitter: @ketab_n

جون تقدّم لي المخاطرة..

كان ينبغي لي أن أختار بينهما.. لكنّني فشلت..

***

يتحدّث (هنري ميللر) عن (القديس فرانسيس) متأمّلاً في فكرة القداسة..

سألته: لماذا؟..

- لأنّني أعتبر نفسي آخر الرجال على هذه الأرض.

بدأت أفكّر بهذا الاعتراف المخلص الذي منحني إيّاه وبقدرته على أن يكون باعثاً على المهابة..

ذلك أنّه لم يكن شخصاً فاسداً أو منافقاً.

عندما أكون في تجلّيات حالتي الطبيعية فإنني أنغمر في إعداد الطعام.. أوقد النار وأمارس الطهو..

يقول هنري:

- لا أشعر بأنني أكون طبيعياً إزاءك حتى هذه اللحظة..

يقولها بتواضع واستمتاع فأرى (هنري) آخر مختلفاً عن ذلك المدوّن في الدفاتر والكتب..

يعيش هنري حياة يمكن أن توصف بالدِّعة..

وفي أحيان أخرى يفلت من الحاضر..

دفاتر الكاتب، أحاسيسه لا تكون ضمن مدى اللحظة دائماً...

عندما ينغمر (هنري) بالكتابة يبدو وكأنّه يتوهّج دفئاً وتظهر ردود أفعاله بتعبيرات مسرحية.

Twitter: @ketab_n

أحاديثنا: هو بلغته الشاعرية المألوفة وأنا بلغتي.. لم أكن أستخدم مفرداته أبداً.

هو بحذره الدائم وأنا باندفاعاتي الصادقة..

ويبدو لي أن (لائحتي) أكثر باطنية وحدسية وانتماءً للغريزة.. لم تكن تظهر أو تطفو على السطح مثلما يحدث الأمر مع (هنري)..

أفكاري حيوية، متحرّكة مقابل تحليلاته القاسية.

إيماني بالمعجزات يقف مقابل فجاجة تفاصيله وواقعيتها. ينتابني المرح عندما يقتنص خلاصتي:

- تبدو عيناك مثل معجزتين دفّاقتين..

من سيجترح هاتين المعجزتين؟

- ظهيرة أخرى في المقهى..

- أخبرني (هنري ميللر) أن جذوره وخلفيته الشخصية (ألمانية) ولكنّه يبدو لي (سلافياً) أو أنّه سبق له وأن امتزج مع (دوستويفسكي) روحاً ونسيجاً واختلطت حياة الاثنين معاً..

كان ذا عاطفة ألمانية مفرطة.. وكان يتنقّل بين العاطفية وجمود القلب..

يمتلك هنري مخيلة (جرمانية) ويقترب أسلوبه الأدبي من (جورج كروتشه)..

هنري عاشق القبح تستهويه الخشونة الرعاعية والعامية المفرطة وأحياء الهنود الحمر والفاقه والفظاظة.

ويتلذّذ برائحة (الملفوف) و(اليخنة).. كما يحب روائح العوز والعاهرات..

Twitter: @ketab_n

منحتني رسائل هنري إحساساً فيّاضاً بالامتلاء الذي لا أناله إلاّ نادراً..

كانت رسائل استثنائية..

وكنت أحسّ بمتعة طاغية وأنا أجيب على رسائله، غير أنّ جسامة عددها كان يبهظني ويضعضعني.. وبالكاد أردّ على رسالة فيكون قد كتب لي أخرى.. تعليقات على (مارسيل بروست) - على قوائم الكتب الصادرة حديثاً، توصيفات، أمزجة، حالات نفسية.. حياته الخاصة، الرغبة الجنسية التي لا تعرف الكلل، وكيف يمزج بين كل هذه الأشياء فتشتبك الأفعال.. أفعال بالغة الإفراط بالنسبة لي..

ولا عجب أنّه كان مفتوناً بـ(مارسيل بروست)، ولا عجب في أنّني كنت أرقب حياته وأعرف أنّني لا أستطيع مطلقاً ممارسة الحياة بالطريقة ذاتها.. حياتي تمضي متريّثة عبر التفكير والحاجة إلى فهم ما أحياه.

رسالة مني إلى (هنري)

أنت تطالبني بأشياء مستحيلة ومتناقضة،

تريد أن تعرف ما هي (الأحلام)؟

ما هي الدوافع والنزوات التي تشغل (جون).. ولكن كيف بوسعها الإفصاح وهي تحيا مثل (غواصة) غاطسة على الدوام في المستوى الأعمق للغريزة والحدس؟ لعلّني أمتلك القدرة على إخبارك بكل هذا، فأنا لست تلك التي تحيا وتحب وتجترح العجائب.. لسوف أجلس ذات يوم وأخبرك أنّني سوف أمضي في الحياة على نحو أعمى.. ولسوف تضرب رأسك بجدران عالم (جون).

ثم تطالبني بأن أمزّق كل الأقنعة، تريد أن تنتزع الرهافة والأعماق والغموض والظلمات والأسرار والأحاسيس الشهوانية في أي شيء تستطيع القبض عليه وتقوم بانتهاكها جميعاً..

Twitter: @ketab_n

علام تطالبني بالوضوح؟

كنت أول من قال ذات مرّة، إن غموض (جون) يمنحك الإلهام، وأنك لا تمنح أيّة امرأة أخرى الكثير من الاهتمام.. فلماذا تريد تبديد السر؟.. هل سيجديك نفعاً لو علمت أن (جون) امرأة سحاقية أو مدمنة مخدرات أو عصابية أو أنّ لها عشّاقاً لا يحصون..

أنا لا أفهم رغبة (مارسيل بروست) في أن يعرف ويكون حاضراً عندما تقع (ألبرتين) في غرام شخص آخر...

كنت أتلقّى رسائل من (هنري) كل يوم وأردّ عليها في الحال.. وكنت قد أعطيته آلتي الكاتبة وصرت أكتب بيدي وأفكّر بـ(جون) ليل نهار. كنت مفعمة بالطاقة وأكتب رسائل لا نهاية لها..

في الليلة الماضية بعد قراءتي لرواية هنري الأخيرة لم أستطع النوم.. إنّه منتصف الليل، أردت أن أنهض وأمضي إلى غرفة الكتابة وأكتب إلى هنري عن كتابه الأوّل.

هناك بابان يجب أن يفتحا ويُحدثا ضجّة.

استلقيت بلا حراك وأرغمت نفسي على النوم والعبارات تندفع إلى رأسي مثل زوابع صغيرة. أستطيع أن أفهم وأرى فيما إذا كنت هناك.

Twitter: @ketab_n

آذار ١٩٣٣

مهاتفة من هنري ميللر:

المقابلة مع (د. أوتو رانك) المحلّل النفسي نجحت مائة بالمائة. أصبح رانك صديقاً له.. إنّه شديد الإعجاب بهنري.. قال له أنّ كتابه (مدار السرطان) لم يقدّم ما تنطوي عليه شخصية هنري بأكملها، وقام بتفخيم هيأته فحسب.

قال هنري: إنني مدين بكل هذا لك أنتِ.

قلت: بل أنت مدين لما أنت عليه بذاتك..

كنت قد أخبرت هنري أن (د. رانك) سوف يقدّره حق قدره.. كان هنري مرتبكاً إلى حدٍّ ما.. لكنّه وثق بي، إنّه بحاجة إلى الثقة التي سيمنحها له هذا التحدّي..

كانت (الكونتيسة لوسي) التي تظهر على صفحات مجلة (فوغ) ببشرتها الصدفية المتورّدة وشعرها الذهبي الشاحب باعتبارها الرشيقة التي لم تفقد المظهر الشهواني لجسدها، وعينيها الخضراوين مهما تقدّم بها العمر..

لهب هائل في مدفأة الحطب، مقاعد ذات أذرع مكسوّة بالساتان الأبيض مع أريكة واسعة ترتدي ثوباً منزلياً يعيد إلى الذاكرة ثياب (أوديت)، حديثها كان غريباً وبالغ الهشاشة، جارح الوضوح، لقد بدأت بإصدار مجلة مع (إدموند جالو) وتريد ترجمة بعض كتاباتي لهذه المجلة.

Twitter: @ketab_n

أنظر إلى النافذة الطويلة، النافذة المغطاة بالدانتيل، والوسائد تحت القدمين، والحياة التي لا معنى لها. كانت متحمِّسة شديدة الحماس لفكرة أنّني سأحقق لها المعجزة. إنها (لوسي) التي تراني عن بعد وهي التي قالت:

- إنني أحب هدوءك العظيم، إنك تمتلكين حياة تجاوزت العقبات وانتصرت عليها، أما أنا فإنني أمرّ بمرحلة العمر الخطرة المتذبذبة البليدة، أحب أن أمتلك وثوقيتك، إنني أنتظر الحب، لبّ حياة المرأة وجوهرها..

قلت لها: لا تنتظريه.. ابتكري العالم.. عالمك وحدك.. قفي وحيدة وسوف يسعى الحب إليك، فأنا منذ أن كتبت كتابي الأول بدأ العالم الذي أريد العيش فيه يتفتح أمامي.

قالت: أشعر وكأنّه قد حكم عليّ بقدر مشؤوم هو أن أكون متفرِّجة فقط. أنا المتفرِّجة على حياة (جين).. أنا معجبة بها لكنني أريد أن أكتشف عالمي الشخصي، أستطيع تصوّر ما يحيط بحيوات الناس، إلاّ حياتك أنت..

- لا أستطيع أن أقول الكثير من أنّ ما حولي هو أنا.. كل شيء هو أنا.. لأنّني نبذت كل ما هو متعارف عليه، كل ما يعتقد به العالم، كل قوانينه وأعرافه. فأنا لست مضطرة للعب دور اجتماعي مثلك أو مثل (جين).

كانت لوسي تتخبّط ما بين عالم الفن والمجتمع، بين البوهيمية والأرستقراطية، بين التقاليد والانحراف...

ولكونها فنّانة فقد كانت تتحدّث عن طريقة سيري، عن يدي، عن إيماءاتي بأسلوب متوهّج رائع.

لاحظتها وهي تقوم بفتح بتلات زنابق (التيوليب) الاصطناعية فبدت الزنابق أقرب إلى الزهور التي فقدت سحرها.

هل سيزول كل هذا الجمال لأنّ (لوسي) تبحث عن حياة لها طعم الحياة..؟

Twitter: @ketab_n

ما هو وجه الاختلاف بيننا؟

.. إنّني أحيا أحلامي.. لم تكن الأحلام إلاّ علامة البداية.. فهي توحي لي بالطريق التي عليّ أن أتّجه إليها.. العالم الذي افتتن به (مارسيل بروست) وأغواه لا يستهويني للعيش فيه. بوسع لوسي أن تلحق بي في عالمي..

أسير خفيفة في الربيع النامي المزدهر، أستمع إلى أصوات جديدة، الأنفاس البهِجة الجديدة للأرض وأنا أتوقّع اللقاء بين (انطونين آرتو) هذه الليلة وعائلة (الليندي).

كان (الليندي) بحكمته يخلط أجواء صداقاتي، أنّى لي أن أخبره بذلك؟ عندما بدأ يعاني من الغيرة وبدأ يكون متطلّباً، الحقيقة أنّني وجدت من المستحيل مقاومة المتعة الهائلة في الإغراء والمغازلة حتى وإن لم أكن في حالة حب..

أيّة إثارة!! إنها تشبه الزهو الذي يحسّه المتزلّج على الجليد قبل النهاية الرائعة للمنحدر الأبيض. أو ما يستشعره السبّاح وهو يواجه موجة شاهقة أو ما يحسّه متسلّق الجبال وهو يتطلّع إلى القمّة الشامخة: الصعودات، القفزات، الهبوطات..

غير أن حكمة (الليندي) كانت تقيه من طغيان الألم.. كنتُ قد بدأت اللعب، كما علّمني: أستسلم للنزوات والأهواء والميول.. كما كان يتمنّى في خياله - أنه تزوّجني في شبابه. إلى أي حياة كنت سآخذه؟

بعد مغادرة الضيوف جلست وحيدة في (الستوديو).

حضر آل (الليندي) مع (أنطونين آرتو)، كان آرتو يحدّق بالكريستالات، سرنا في الحديقة الشاسعة المغمورة بضوء القمر.. كان (آرتو) يتحرّك بثقة ومزاج رومانسي:

Twitter: @ketab_n

قال: الجمال الذي خيّل لنا أنّنا فقدناه من عالمنا يقيم هنا، في هذا البيت السحري، والحديقة الساحرة الخرافية. إنها حكاية من حكايات الجن..

كان (أنطونين آرتو) نحيلاً متوتراً له وجه شبيه بطائر (الفاق) وعيناه حالمتان مليئتان بالرؤى، قلق، ساحر، حاد، وماكر..

كان المسرح بالنسبة (لأنطونين آرتو) المكان الذي يطلق من فوقه صرخة الألم وصيحات الغضب والحقد والعنف ليجسّد القسوة أمامنا، وأن أشدّ أنواع الحياة عنفاً يمكن أن تتفجّر جرّاء الإرهاب والموت.

تحدّث (آرتو) عن طقوس (عبادة الدم) وكيف فقدنا سحر الاتّصال. تحدّث عن العبادات القديمة التي عرفت كيف تجعل الإيمان والنشوة يشيعان بين الناس كالعدوى.

لقد زالت قوة هذه العبادات وسحرها.. وهو يسعى الآن لإعادة الاعتبار لها على المسرح..

يريد من المسرح أن يؤدّي هذا الفعل ويشكّل نقطة استقطاب لهذه العبادات والشعائر التي تستطيع إيقاظنا جميعاً. يريد (آرتو) أن يطلق صرخاته ليحرّض الناس على التوهّج وبلوغ النشوة من جديد.. إنّه لا يريد مسرحاً يقوم على الحوار والتحليل ويسعى إلى أن ينقل التأثير عبر تجسيد حالات النشوة والانفعالات الحادّة..

يريد (انطونين آرتو) مسرحاً بلا غايات، وبينما كان يتدفّق في حديثه هذا تساءلت عمّا إذا كان على حق في قوله: إنّنا ضيّعنا تلك العبادات أو أنّنا نحن الذين فقدنا قوّة الإحساس والمشاعر ولن تستطيع أية شعائر أو عبادات إعادة ما فقدناه وبثّ الروح في أحاسيسنا.

(أنطونين آرتو) هذا الكيان الشجي الناحل الذي يرتاد المقاهي ولكنّه لا يُشاهد ثملاً أو جالساً بين الناس يشاركهم ضحكهم ومرحهم..

Twitter: @ketab_n

إنّه هذا (المدمن) المنعزل الذي يمضي في الطرقات وحيداً ويحاول تقديم مسرحيات تحاكي مشاهد الإرهاب والتعذيب.

تبدو عيناه زرقاوين بفعل الإرهاق وسوداوين بالألم، إنه وجود هستيري بكامله، لقد قام بأداء دوره الرائع عن الراهب الذي عشق (جان دارك) في فيلم المخرج (كارل درايز)..

عيناه المفعمتان بالأسرار تشعّان كأنّما من أعماق كهف بعيد، عيناه الغامضتان - عينا الأشباح والأسرار.

الكتابة بالنسبة لآرتو مدعاة للألم، لأنّها تجيء متوترة مهتاجة مليئة بالتشنّج، إن (آرتو) يعيش صراعاً دائماً مع العالم الذي يستدعيه في مخيلته ويقوم بمحاكاته ومسرحته لتبدو أحداثه العنيفة أشبه بحالة تأملية، أكثر مما تقدّم كمظهر من مظاهر القسوة..

وبينما كنا نقف في الحديقة بدأ هجومه على الهذيان وأخذ يلعن الهلوسة.

قلت: أنا سعيدة بهلوساتي.

قال: أنا لا أجرؤ قط على إتيان قول كهذا.

الهذيان يرعبني، وأنا أبذل جهوداً إنسانية هائلة من أجل أن أفيق من الهذيان..

أخبرني د. الليندي أنّه حاول إنقاذ أرتو من الإدمان الذي كاد يدمّره..

لم ألحظ عليه أمراً استثنائياً في تلك الأمسية ما عدا هجومه على المسؤولين الذين أضجروه وحالوا بينه وبين إحساسه المرضي بالعظمة.

تحدّث (آرتو) بحماسة بالغة عن (القابال) والسحر والأساطير والخرافة.

Twitter: @ketab_n

قال د. الليندي إنه أجرى عديداً من الحوارات مع (آرتو) لكنه رفض أن يخضعه للتحليل النفسي باعتباره وصفة للشفاء، لكنّه استسلم الآن للفكرة وتقبّلها وقد أعانه التحليل إلى حدٍّ بعيد.

عندما زار د. الليندي بيتي في (لوفيسانس) قال: أحسّ أنّني هنا في بلاد قصيّة..

بينما قال آرتو: كلا... أبداً، أحسّ تماماً أنّني في بيتي.. في وطني هنا..

كتب آرتو عن رعبه في عزلته ووحدته، وبعد أن قرأت مخطوطته عن (الفن والموت) أعطيته مخطوطتي (بيت سفاح القربى) وكتبت له رسالة، قلت فيها أنّ ما هو أساسي في الكتابة هو ما يمنحنا الشعور بعدم وجود مبالغات في الكلمات، وسوف تجد في كتابي هذا أنّني هيّأت العالم لاستقبالك عن طريق تغييب الجدران والحواجز، والأضواء الخافتة والبلّور ذي الانعكاسات والأعصاب المخدّرة، والعيون الرؤيوية وحمّى الأحلام.. هذا الكتاب أنجزته قبل أن أعرفك وقد كتب ليتناغم ويتزامن مع رؤيتك الخاصة للعالم..

أخبرني (آرتو) في رسالة جوابية أنّه يُعدّ لمحاضرة عن (المسرح والطاعون) ويشكو لي من صعوبة الموضوع وتشعبّاته ويشكرني على تفهّمي لمشروعه المسرحي وامتنانه للعون الذي قدّمته لعمله..

تحدّث (هنري ميللر) عن (الفصام وعالم الموت) عن عصر (فاوست) و(هاملت).. عن القدر والمصير والروح، عن سكان المدن العظمى وعن الاستسلام للحتمية البيولوجية.

وجدت أن عليه الانصراف للكتابة عن نفسه دون الاهتمام بالأفكار المجرّدة وتساءلت: لماذا يحاول (أنطونين آرتو) الظهور بمظهر الفيلسوف المفكّر.. أم أنّها وسيلة يستخدمها ليموضع عالمه وسط عالم جرى تنظيمه ليجد لنفسه - بالتالي - مكاناً فيه؟

Twitter: @ketab_n

كان هنري ميللر منهمكاً في العمل وهو يتصارع مع (د.هـ.لورنس) ويبحث في كدس من الملاحظات، يحرّك ذراعيه ويشير ويدخّن ويلعن ويستخدم الآلة الكاتبة ويحتسي النبيذ الأحمر وقد تناهى إليه أنّني أعدّ بحثاً كلّفني به (د. الليندي) عن (تاريخ الطاعون) والعنف والإرهاب الذي يتفجّر فجأة جراء الرعب من مواجهة الموت..

كانت دون ريب فترة غنية نابضة، وأخذ هنري يصغي إليّ معتقداً أنّ هذه المادة تناسب مشروعه، ووجّه لي أسئلة صاخبة وكان مقتنعاً بالمعطيات والمعلومات التي أغنت بحثه، إنّه لا يتورّع عن استخدام أي شيء يمكنه أن يغني موضوعه ويخدمه.

يقول (هنري ميللر):

- يمثّل (هنري جيمس) روح المدينة الكبرى، الديناميكية. يمثّل الحماسة والتعلّقات والخيبة، بينما يعمل جيمس جويس مثل المنقب الآثاري بحثاً عن الأرواح الميتة.

أيقن (هنري ميللر) أنه يمرّ الآن في مرحلة تحوّل كبرى من التلذّذ الرومانسي بالحياة إلى الاستمتاع الكلاسيكي بالأفكار..

قبل عام عندما قال له (فرانكل)

- الناس هم محض أفكار..

تساءل هنري: لماذا الأفكار؟. لماذا الرموز؟..

وها هو يعود ثانية ليصبح فيلسوفاً..

جلسنا في المقهى وشربنا وبدأنا نتحدّث عن (إشبنغلر). استغربت لماذا يحدث هذا؟.. أمن أجل أن يحاول تنظيم تجاربه وموضعتها؟..

Twitter: @ketab_n

إنّني مزهوّة بنشاطه وفعاليته. أحسست الآن أنني قد خُدعت بهنري المغامر وبعالمه السفلي ومباهاته بكوارثه وليالي فجوره وبحثه المسعور عن المتعة وفضوله وحياته في الشوارع وعلاقاته بكل شخص في أي مكان...

قاعة المحاضرات في (السوربون)

(د. الليندي) و(آرتو) كانا يجلسان إلى المنصّة الكبيرة، (الليندي) يتحدّث مع (آرتو). القاعة مكتظّة بأناس من أعمار مختلفة وكلّهم من مريدي محاضرات (الليندي). كان الضوء وهاجاً ومباشراً فأخذ (آرتو) يرمش ويحوّل بصره إلى المناطق المعتمة، كان شعره الطويل يلامس كتفيه وتميّز جسمه رشاقة وخفّة إيماءات الممثّل المحترف، بدا وجهه ناحلاً مثل من ألمّت به الحمى، ولم تكن عيناه تنظران إلى أحد.. عينا الرؤيوي الحالم..

بدا (الليندي) إلى جواره - أرضياً وثقيلاً وكئيباً وخامداً ومستكيناً..

سار آرتو بضع خطوات إلى المنصّة وبدأ يلقي محاضرته عن (المسرح والطاعون)..

طلب إليّ أن أجلس في الصف الأمامي، أحسست أنّ ذلك كلّه من أجل أن يحاول لفت انتباه الآخرين إليه.

تابعت حديثه وتساءلت:

- هل أراد إقناعنا بأن الإنسانية تنجز أعمالاً ومنجزات فنيّة لا تحصى خلال موجات الطاعون لأنّ الإنسان يبحث عن البقاء أو الهرب أو يحاول تجاوز ذاته في فوضى الرعب من مواجهة الموت..

كان وجهه محاطاً بكمّد موجع، كان العرق يرى وهو يرطّب شعره. عيناه متسعتان.. عضلاته متشنّجة.. وأصابعه تجاهد أن تحتفظ بمرونتها،

Twitter: @ketab_n

ويجعل المرء يحسّ بلفحة وحرقة في حنجرته، يجعله يشعر بالآلام.. بالحمى.. بالنيران في الأحشاء. كان يمرّ بحالة من العذاب النفسي المبرح، كان يصرخ ويهذي، كان يمثّل مشهد موته الخاص، ولحظات الصلب الأليمة.

في البدء اجتاحت الهمهمة الحضور.. ثم أخذوا يضحكون. الكل بدأ يقهقه ويطلق الفحيح. ثم بدأوا يغادرون واحداً بعد آخر محدثين ضجة ولغواً واحتجاجاً وكانوا يصفقون الباب وهم يغادرون..

الوحيدون الذين لم يتحرّكوا من أماكنهم كانوا الدكتور (الليندي) وزوجته وآل (لالوس) و(مارغريت).

المحتجّون كثرة، المتهكّمون أكثر.. لكن (آرتو) لم يتوقّف واستمرّ حتّى آخر شهقة. وبقي على الأرض.

وعندما خلت القاعة تماماً إلاّ من القلّة من أصدقائه سار مستقيماً باتجاهي وقبّل يدي وطلب منّي أن ارافقه إلى المقهى.

كان لكلّ واحد ما يشغله فتفرّقنا لدى باب (السوربون) وسرنا أنا و(أرتو) في الضباب الرقيق، سرنا في الشوارع المعتمة، كان مجروحاً متضرراً، مخيّباً مخذولاً جرّاء السخرية.. لقد نفث غضبه!

- إنّهم يريدون سماع (ما حول) الشيء، يريدون سماع مادّة حول (المسرح والطاعون)، أمّا أنا فقد منحتهم التجربة بذاتها.. الطاعون نفسه، فارتعبوا واستفاقوا.. ومضيت في إيقاظهم، لم يكونوا مدركين أنّهم موتى.. وأن موتهم كان شاملاً، كالصمم، كالعمى.. كنت قد جسّدت لهم الألم.. ألمي، نعم، وألم كل كائن حي...

تساقط الضباب والندى على وجهه، أزاح شعره بعيداً عن جبهته. كان مكروباً ومبللاً، لكنّه تحدث الآن بنبرة هادئة. جلسنا، نسي المحاضرة.

Twitter: @ketab_n

- أنا لم أجد إنساناً شعر بما أحسّ به.. أنا مدمن أفيون منذ خمس عشرة سنة. لقد قُدّم لي الأفيون منذ كنت صغيراً جداً لتخفيف بعض الآلام الشنيعة في رأسي... أحسّ أحياناً أنّني لا أكتب وإنّما أصف كفاحي مع الكتابة ومجاهدتي لأولد..

أخذ يردّد الشعر ونحن نتحدّث عن (الشكل) والمسرح، عن عمله..

- أرى عينيك خضراوين، وفي أحيان أخرى بنفسجيتين..

تحوّل إلى رجل مهذّب رصين، سرنا ثانية تحت المطر.. كان الطاعون بالنسبة له ليس بدرجة سوء الموت ونحن نقبل أوسط الأشياء.. الموت بالمتاجرة بأشيائنا.. الموت بالفساد الذي يحدق بنا..

كان يريد أن يثير قلق الناس بأنّهم موتى حقاً، وليرغمهم ويدفعهم إلى حالة شعرية..

قلت: (إن المخاصمة تثبت لهم فحسب أنك تسعى لتدميرهم).

ولكن أية صدمة أن ترى شاعراً حسّاساً يواجه جمهوراً معادياً؟ أيّة قسوة وأي قبح يكمن في الجمهور..؟

.....

قلت لأنطونين آرتو:

- أنا أحب الشاعر فيك..

انفعل بما قلته لكن عبارتي لم تجرح اعتزازه بنفسه.

قال: هذا هو إحساسي بالذات، إنك تشبهينني، اسمعيني.. إنني أرى الإنسان شبيهاً بطيف وأنا أخشى الحياة وأرتاب فيها.

كل ما في الحياة يبدو ليَ غير حقيقي وأنا أحاول اقتحامها، أحاول أن أكون جزءاً منها، ولكن...

Twitter: @ketab_n

أنت يا أناييس سبقتني إلى اقتحامها.. اخترقت الحياة بكل هذه الحيوية التي لم أجد امرأة أخرى تتمتّع بها.. لم أتعرّف إلى امرأة أخرى أقرب شبهاً بـ(الروح) منك.. كل ما يحيط بشخصك يفزعني..

عيناك الواسعتان المستحيلتان، وضوحك المستحيل، شفافيتك، كل هذه الأشياء التي تبدو خلواً من الأسرار تدفع المرء للاعتقاد بأنّه قادر على النظر إليك من خلالها، إنّما الحقيقة شيء مختلف، ثمّة أسرار لا نهائية تكمن تحت هذا الوضوح ووراء هاتين العينين الكاشفتين..

أذهلني تدفّقه بهذا الحديث.. ثم فاجأني بسؤال:

- من هو الذي تحبينه أنت.. ثمّة الكثيرون يحبونك ولكن من الذي تحبينه أنت؟.. يعتقد الناس أنّني مجنون، فهل تراك تفكرين على شاكلتهم.. أهذا ما يخيفك فيّ؟

أدركت هذه اللحظة وأنا أنظر إلى عينيه أنّه مجنون فعلاً...

لقد كان مجنوناً وهذا ما عشقته فيه.. جنونه.

أعرف أنّه يريد العودة إلى الحياة عن طريق حب امرأة أو من خلال التناسخ والتقمّص والولادة من جديد.. لكن فقدان المنطق في حياته يجعل من أيّ حب إنساني أمراً مستحيلاً.

وحتّى لا أسبّب له حرجاً ما.. أعلنت له عن أسطورة تقسيمي الحب إلى شكلين:

- الحب الجسدي والحب الروحي، وهما حالتان لا علاقة لإحداهما بالأخرى..

قال: لم أفكّر قط أنّني سأكتشف فيك جنوني ذاته..

Twitter: @ketab_n

كنّا نجلس في مقهى (الكوبول) و(آرتو) يتدفّق بالقصائد ويتحدّث عن السحر ثم يعلن:

- أنا الامبراطور الروماني المجنون (هيليو غابالوس).. أنا (هيليو غابالوس)..

كان آرتو يتقمّص كل شخصية يكتبها ويتماهى معها.

استأجرنا سيارة، فأزاح شعره الطويل عن وجهه الخرب ووقف في السيارة المكشوفة مادّاً ذراعيه وهو يشير إلى الشوارع المزدحمة بالمارّة:

- ستحدث الثورة عاجلاً، وسيدمّر كل هذا، هذا العالم يجب أن يدمّر، فهو عالم فاسد مليء بالقبح والمومياءات.

آه.. هل حدّثتك عن انهيار (الامبراطورية الرومانية) وسقوطها - الموت.. أريد للمسرح أن يقدم معالجة مذهلة وأرجو أن تكهرب المسرحية مشاعر الناس..

خيّل إليّ أوّل الأمر أن (آرتو) يحيا في عالم خيالي. وهو يسعى إلى كارثة.. إلى صدمة عنيفة تعيده إلى العالم الواقعي. أو تهبه القدرة على التناسخ والحلول عبر غرام جامح..

ولكن ما أن وقف وأخذ يلوّح بيديه ويصرخ: حدّقت به الحشود وغضب سائق التاكسي وفكّرت: لم يكن آرتو يدرك أين نحن...، كان مهتاجاً وعرفت أنّه يريد الثورة، يريد الفاجعة والكارثة، فذلك ما سيضع خاتمة لحياته الموجعة.

عندما ذهبت لزيارته كان يقف نبيلاً مزهواً بعينين جذلتين إلى حدّ الجنون. إنهما عينا هذا المهووس المجنون تشعّان ببريق الانتصار بسبب موافقتي على زيارته..

Twitter: @ketab_n

كنت أرتدي زياً باللونين الأحمر والأسود مزيناً أو مدججاً بقطع فولاذية أشبه بثياب المحاربين لكي أحمي نفسي من الامتلاك.. كانت غرفته عارية متقشّفة كأنّها صومعة راهب: سرير ومنضدة وكرسي.. نظرت إلى صوره الفوتوغرافية التي تمثّله في ادواره التمثيلية المختلفة، بدت سحنته مريرة قاتمة. حرّة ومتألّقة تشع بنشوة روحية في صور أخرى وكأنّه طالع من القرون الوسطى بحدّته ورصانته المميّزة..

أطلعني على مخطوطاته وتحدّث عن مشاريعه ثم أخذ حديثه ينحو باتجاه الغموض وشرع يتودّد إليَّ.. ثم ركع على ركبتيه أمامي.

فكرّرت أمامه ما سبق وقلته عن إيماني بالحب الروحي.. كان كل ما حولنا في الغرفة يهتزّ ويترنّح وكأنّنا في قلب زوبعة..

عندما سمع حديثي نهض بوجه عابس جامد كأنّه نحت من الصخر..

- هل أخبرك (د. الليندي) أنني أتعاطى المخدرات؟

على أيّة حال ستظهرين لي احتقارك عاجلاً أم آجلاً، أنا لم أخلق للحب الشهواني وهذا موضوع يعدّ بالغ الأهمية بالنسبة للنساء.

- ليس لمثلي..

- لا أريد أن أفقدك يا أنابيس.

- لن تفقدني..

- ما أتعاطاه يقتلني ولن أحاول إرغامك على الوقوع في حبي.. أنت إنسانة ومن حقك أن تعيشي الحب.

- أنا لا اريد هذا النوع من الارتباط. أما ذلك الآخر.. الحب الروحي.

- أنت تريدين الهرب مني.. تريدين الاختفاء.

أنابيس أنت كل شيء بالنسبة لي.. أنا لم ألتقِ بامرأة مثلك قبل اليوم.

Twitter: @ketab_n

أنت حالة نادرة لا أصدّقها وأنا أرتعب من فكرة أن تكوني مجرّد حلم فتختفين من حياتي.

إن كبرياءك يثير الفتنة في كل ما يحيط بك فيضطرب العقل لدى رؤيتك.. هذا تفصيل صغير أوحى لي به حضورك وأنت في بدلة (مارس) إله الحرب، فالمرأة التي تحيا بالرموز إلى هذا الحدّ هي الوحيدة التي تدهشني.. إضافة إلى هذا الوهج الروحي الذي يلازمك دوماً.. أنا أحب لحظات صمتك التي تماثل سكناتي.. أنت تتحدّثين عن تدمير الذات باعتباره مجزرة ثم تضحين بنفسك من أجل الإله..

- من أجل الكمال.. المرء يموت إذا شاء بلوغ الكمال..

- أنا مغرور وشديد المباهاة.

- كل المبدعين مثلك.. لا يمكنك أن تبدع حقيقة دون الاعتزاز بالنفس وحب الذات..

- أنا على استعداد لإحراق كل شيء من أجلك، مستعد لأكرّس نفسي لك.. أنت تستحقين أن يقوم المرء باقتراف مذبحة من أجلك..

ما الذي سيحرقه (انطونين آرتو) من أجلي.. لم أسأله..

- اكتبي لي يا أناييس، إن كل يوم من الانتظار هو بمثابة عذاب لي، فلا تعذبيني، وأجرؤ على القول إنك ستنسينني.. ستتخلين عنّي..

رسالة من (انطونين آرتو)

كنت قد أحضرت بعض الناس رجالاً ونساءً لمشاهدة اللوحة المدهشة (لوط وابنته).

Twitter: @ketab_n

إنها المرّة الأولى التي كنت قد رأيت فيها الاستجابة الفنيّة تحرّك الكائن وتجعله يترنّح - مثل الحب، الأحاسيس ترتجف. وإنّني أدرك ذلك فيك.. إنّ الروح والجسد متآلفان تماماً فإذا ضغطت الروح النقيّة فبوسعها أن تفزّ وتتململ كالعاصفة في أعماقك.. ولكن في مثل هذا التزاوج المتناقض، المتنافر، تكون الروح هي القائدة، هي التي تستدرج الجسد وتهيمن عليه. ويجب أن تكون النهاية عندما تكون الهيمنة كاملة وأحسّ أنّ فيك عالماً ينتظر الولادة ليجد خلاصه. أنت نفسك لا تقيمين وزناً لمثل هذا.. ولكنّك تنادين به بجماع أحاسيسك، بمشاعرك الأنثوية التي هي بمثابة الروح لك..

كوني ما أنت عليه، ويجب أن تفهمي الفرح الموجع العظيم الذي نلته بلقائك.. الفرح والمسرّة والدهشة. إنّني أحصل على الامتلاء بكل الوسائل، أجد امتلائي في عزلتي اللامتناهية التي تشغلني على نحو مرعب، لقد منحني القدر أكثر مما كنت أحلم بنيله، وأنا أحب الأشياء التي يهبني إياها القدر. ذلك أمر محتوم كليّاً، ومقدّر في السماء، إنه يأتي دونما تردّد ومن تلقاء ذاته وبمنتهى الجمال ممّا يسبّب لي الفزع ويجعلني أؤمن بالمعجزات كما لو أن الأعاجيب والمعجزات ممكنة التحقّق في هذا العالم، غير أنّي لا أفكّر بأنّني أو أنّك من هذا العالم. وهذا هو، هذا هو اللقاء المكتمل الذي حرّك مشاعري كأنّه الأسف..

إن روحي وحياتي تكوّنتا من سلسلة الإضاءات والخسوفات التي تؤدّي أدوارها دون توقف في داخلي، وفوق ذلك كلّه وبعد ذلك كلّه أجدني واقعاً في الحب.. وأنا بالنسبة لمن يحبونني لا أستطيع إلاّ أن أكون مخيباً للآمال على الدوام... لقد لاحظت ذلك توّاً، وفي أحيان أخرى أمتلك حدوساً سريعة، وقدرة سريعة على التنبؤ.. وفي أحيان أخرى أكون أعمى تماماً حتى يصعب عليّ إدراك أبسط الحقائق.. وينبغي للمرء أن يمتلك فهماً نادراً ودهاءً غير عادي ليتقبّل هذا المزيج من الظلمات والنور عندما يتعلّق هذا الأمر بالعاطفة فإنّ للآخر كل الحق في الفرار منّي...

Twitter: @ketab_n

شيء آخر يربط بيننا ويقرّبنا إلى بعضنا: سكناتك.. صمتك الذي يشابه صمتي.. أنت الكائن الوحيد الذي لا أخجل من صمتي أمامه...

إنّك تمتلكين صمتاً محتدماً يحسّ المرء أنّه مشحون بالمعاني والخلاصات.. إنّه حيوي على نحو غريب، وكأنّه فخ مفتوح فوق هوّة سحيقة يستطيع المرء أن يسمع منها همهمة الأرض الخفيّة نفسها.. ليس فيما أقوله (فبركة) شعرية، أنت تعرفين ذلك جيداً، أريد أن أصف هذه الانطباعات المشحونة بالقوة، الانطباعات الحقّة التي لديّ..

عندما وقفنا في المحطة وقلت لك:

نحن مثل روحين ضالتين في فضاء لامتناه. أحسست بذلك الصمت. هذا السكوت المتحرّك الناطق الذي يتحدّث إليّ ويجعلني أبكي لفرط الفرح...

معك أجدني عدت من الهوّة السحيقة والكهوف التي كنت أعيش فيها.. وقد ناضلت لأزيح عمل الروح فيما وراء الحياة وخلفها.. في ميتاتها.. أنا نفسي (هوّة) حقيقية".

أن تكون على تماس مع (أنطونين آرتو) فمعنى ذلك أن تصاب بالتسمّم، بذلك السمّ الذي دمّر (آرتو).

.. بيديه كان يحتجز أحلامي لأنّها تماثل أحلامه.

إنّني أعيش حبّي للشاعر الذي يسير وسط أحلامي.

أحب ألمه ووهجة النار لا الرجل الذي فيه، فأنا لا أستطيع الارتباط به جسدياً.

Twitter: @ketab_n

أيار ١٩٣٣

قاعة الحفلات الموسيقية (صالون شوبان)

القاعة مغمورة بالأبيض والذهبي، المقاعد مكسوّة بالمخمل الأحمر..

حفلة هذا المساء: سيحييها أخي (خواكين)..

سيعزف هذه الليلة.. لم يصل حتى الآن..

القاعة والمدخل صغيران، أصرّ أبي على القيام بدور المضيف واستقبال المدعوين وكأنّه متعهّد الحفل الموسيقي رغم أنّه يعرف ما سيكونه رد فعل أمّي إزاءه، ولكنّه لم يقاوم شهوة إغضابها وسط الناس وأمام (خواكين) وأصدقائه.

أرسل له خواكين:

(لو تتكرّم وتجلس في مقعدك شأنك شأن الآخرين، أو سأضطر إلى إلقائك خارجاً..).

أدّت الرسالة مفعولها ولكن حفل خواكين تقوّض بالنسبة له..

أغضبه الأمر، وعندما غادر كان شاحباً ومتوتراً ثم استعاد انتعاشه وبدأ يؤدّي دوره برفعة وجلال ويصفّق على نحو طائش..

كان (هنري ميللر) جالساً في المقصورة حيث لا يمكنني رؤيته، كنت

Twitter: @ketab_n

قد دعوت (د. الليندي). لم تكن فكرة صائبة.. وافق على الحضور، وعندما لمحته وهو يسير مع زوجته في الممرّ أدركت مقدار طوله الفارع.. كان يشمخ فوق الجميع:

التقت عيوننا، لمست أسىً في عينيه وكثيراً من الجديّة والرصانة التي أحبّها وتهزّ مشاعري..

خلال الاستراحة: هبط (هنري ميللر) إلى الطابق الأرضي. بدا وجلاً ونفوراً وسط الزحام،.. صافحته، بدا لي غريباً ومتنائياً وعندما قابلت والدي انحنى أحدنا للآخر بطريقة رسمية، وابتسمنا على مضض.

هل منحني (د. الليندي) القوة؟..

شعرت هذه الليلة أن الطفلة التي بداخلي ما تزال هلعة مرعوبة، لكن المرأة بدت متألّقة أمام الجميع..

كان كثير من الحزن لدى (د. الليندي) وذلك ما لم ألحظه خلال زياراتي له في عيادة التحليل النفسي،..

أدركت كم كان مأخوذاً بثوب السهرة الذي كنت أرتديه. كان شعري مضموماً إلى الأعلى في خصلات لولبية وأنا في اكتمال رصانتي.. وددت لو أختبئ في عباءتي المخملية السوداء، وأحسست بثقل أكمام ثوبي البالونية المنتفخة.

أرهقتني مقابلة كل هذا الحشد الهائل من البشر وتلقّي عبارات الإعجاب والإطراء عن حفل (خواكين).. أتعبني الحديث، لاحظت برود أبي وشحوبه وتكلّفه الارستقراطي.. وأيقظت هذه الصورة كلّ فزعي وأنا أشهد تلك المشاجرات بين أبي وأمي.. أحسست بالفزع ذاته هذه اللحظة..

Twitter: @ketab_n

أخبر (د. الليندي) صديقتي (مارغريت) بأنّني كنت ممتعة وأنّني أستجيب بحساسية وسرعة للعلاج،

كنت قد شفيت وامتلكت الثقة لأحاول إبهار (د. الليندي)، وأنا أخفي جانباً سرياً من نفسي عنه..

لا يزال لديّ ما أستطيع كتمانه.. إنّني أخفي عن الجميع المعرفة الكاملة عن نفسي..

كتب لي (هنري ميللر) رسالة بعد الحفل الموسيقي:

(أنابيس..

فتنني جمالك، كنت تقفين هناك أشبه بأميرة، أنت ملكة إسبانية ولست تلك المرأة التي أقابلها خارج هذا المكان..

لقد عرضت لي عدداً من (الأنابيسات) وهذه إحدى جوانب شخصيتك.. كما لو أنك تجرّبين البرهنة على سرعة تلوّنك وتقلّبك..

أتعلمين ما قاله لي (ميشيل فرانكل) عنك؟..

لم أكن أتوقّع رؤية امرأة بهذا الجمال تؤلّف كتاباً عن (د.هـ.لورنس)..

رأيت والدك، .. ربما اشتبهت به.. رأيت شعره الأسود الطويل المموّج..

إنك تنتمين إلى عالم آخر.. ولا أجد في نفسي شيئاً أعهد به إلى رعايتك...

يبدو لي الأمر مدهشاً.. إنّه نوع من مزحة رائعة.. دعابة قاسية تلعبينها معي..).

يبدو فرانكل (فاوستياً) بلحيته الصغيرة ووجهه الضيّق وعباءته وفمه

Twitter: @ketab_n

الشهواني، وجهه مدبّب ماكر فوق جسد نحيل مصاب بسوء التغذية، مع يدين رقيقتين لكنهما عنيدتان وسبابته المدبّبة تشير بحزم إلى الاتجاهات كلّها. وله إيماءات ممثّل رومانسي ملتهب المشاعر وبالغ القوّة ممّا يتناقض مع تكوينه الجسدي الضعيف.

لقد كتب فرانكل الكثير عن الموت ولم تكن به حاجة إلى الإقدام على الانتحار لأنّه ميّت في الحقيقة، ولم أشاهد قط شخصاً يذوب من داخله ويتلاشى مثله.. كان ميتاً تماماً وهو ينعم بالحياة.

***

التقت أمّي بأبي في دكّان موسيقى في مدينة (هافانا) عاصمة (كوبا)..

كان أبي حينها في التاسعة عشرة وقد جاء من (برشلونة) هارباً من الخدمة العسكرية في الجيش الإسباني، وسمح له مالك محل الموسيقى ان يتدرب على البيانو في الجزء الخلفي من الدكان،..

أبي كان وسيماً بشعر أسود وعينين زرقاوين وبشرة فاتحة وأنف صغير مستقيم بملامح اعتيادية رقيقة وأسنان جميلة وعادات ساحرة..

أما أمي فقد كانت فتاة مجتمع، فأبوها قنصل (الدانمرك) في (هافانا)، ووالدتها من أجمل النساء الفرنسيات في (نيو أورليانز) ويقع بيتهم في منطقة (ماليكون) على شارع جانبي محاذ للبحر..

بلغت أمي آنئذ السابعة والعشرين ولم تتزوج ومارست أمومتها مع ثلاثة أخوة وثلاث أخوات بعد موت أمها.

كانت أمي روزا، روزا - هكذا ينادونها - تمتلك صوتاً رائعاً، درست الغناء وعشقت الموسيقى وكانت على الدوام ترتدي ثوباً كمعظم ثيابها التي وجدتها مؤخراً في صناديقها، ثوب مصنوع بكامله من (الدانتيل) وله قبّة من الدانتيل

Twitter: @ketab_n

ترتفع حتى ذقنها، وللثوب أزرار صغيرة بيضاء وأكتاف منفوخة مع خصر دقيق جداً (كانت الفتيات يسحبن مشدّات الكورسيهات لبعضهن ليحصلن على خصر نحيل إلى درجة يتعذّر معها التنفّس) وعندما يحضرن الحفلات الراقصة، يبالغن في ربط الكورسيهات بشدّة أكثر ويمتنعن عن تناول الطعام قبل الحفلات، وهو السبب الحقيقي لإصابتهن بالوهن والإغماء...).

كانت أمّي تحمل مظلة من الدانتيلا البيضاء. وكان قوامها ممتلئاً ومزاجها مرحاً وتتمتّع بحيوية تفيض بالبهجة عليها.

لم تكن قد جرّبت الحب، ورفضت الاقتران برجال أثرياء أو أشخاص ذوي مكانة مرموقة أو من العاملين في السلك الدبلوماسي أو العسكريين.

وعندما كانت تشتري من محل الموسيقى تناهى إليها صوت عزف على البيانو، وسمح لها مالك المحل أن تدخل مع شقيقتها إلى الغرفة الخلفية وتستمع إلى أبي وهو يعزف (سوناتا ضوء القمر) لبيتهوفن، كما استمعت إليه وهو يعزف لشوبان بحساسية عالية وأداء رومانسي مميّز. كان بالنسبة لأمّي حبّاً من النظرة الأولى، أما فيما يخصّ أبي فلم أعرف حقيقة الأمر ابداً.

قال مرّة:

- كانت شقيقة روزا أكثر جمالاً، لكن روزا كانت القوية الشجاعة والحازمة التي أريد..

دُعي والدي إلى بيت العائلة ولم يكن يمتلك ثياباً لائقة، وأعلنت أمي أنّه سيعلّمها الغناء.

عارضت الأسرة غرامهما وكان والد أمّي تعيساً يائساً، ولكن أمي واجهت معارضة الأسرة ببسالة وتزوّجت موسيقيها المفلس وذهبا للعيش في باريس حيث ولدت أنا..

Twitter: @ketab_n

لم يكن الفنان في كوبا - آنئذ - يحظى بالاحترام بخاصة من عائلة برجوازية. كان زواج أمي عاراً على الأسرة، لكن جدي أرسل لها نقوداً وشحن لها (بيانو) هدية زفاف - إلى باريس.

لم يعودا أبداً إلى كوبا حتى مرض جدي بالسرطان وولد أخي فأخذتنا أمي أنا وأخي إلى بيت أهلها في (ماليكون) والتحق بنا أبي ثم أمضى معظم وقته في محاولة إغواء صغرى شقيقات أمي..!

أصبت بحمى التايفوئيد وأوشكت على الموت، وكانت أمي الشخص الوحيد الذي يمتلك الشجاعة لاتخاذ القرار، فأذنت للطبيب أن يعطي لجدّي الحقنة التي أنهت معاناته المريعة. كان حبها له قوياً ورجولياً وحاسماً.

Twitter: @ketab_n

أيلول ١٩٣٤

سرنا طويلاً أنا و(هنري ميللر) في شارع (دي لا تومب سوار)؛ فقد انتقل (هنري) من ذلك المحترف الصغير إلى (فيلا سورا) وساعدناه جميعاً في طلاء الجدران وتعليق اللوحات والتنظيف.

كانت غرفة المحترف (الستوديو) كبيرة لها نافذة علوية واسعة تمنحها فضاء شاسعاً وارتفاعاً، وثمّة مطبخ ملحق بغرفة استراحة أقيم تحت الشرفة ويؤدّي إليه سلّم ويطل على شرفة أخرى.

عثرت وأنا أقوم بالتنظيف على صورة فوتوغرافية لـ(أنطونين آرتو) الذي سبق له واقام هنا ردحاً من الزمن. كانت صورة رائعة تمثّله في دور الراهب الذي أحب (جان دارك) في فيلم (درايز)..

بدت وجنتاه غائرتين وعيناه رؤيويتين قاسيتين.. كان (انطونين آرتو) يرفض أن يعطي صورة للآخرين، فهو يخشى لعنة السحر. كان يؤمن أنّه سيتعرّض للأذى إذا ما قام شخص شيطاني بغرز الدبابيس في صورته.. وها هو الآن بين يديّ: راهب فاتن يقع تحت رحمتي ولكن لن أمسّه حتى بطرف إبهامي وإنّما سأحتفظ بالصورة في مكان ما..

Twitter: @ketab_n

(مدار السرطان) في المطبعة..

أحسّ هنري أن مرحلة حياة جديدة قد بدأت بالنسبة له.. وأظهر (فريد) إحساسه بالغبن لأن هنري لم يطلب منه أن يعيش معه في (فيلا سورا) بعد أن عاشا معاً في المحترف القديم.. أراد هنري أن يكون وحيداً. قمت بتعليق اللوحات المائية والبطاقات التي تخصّ الشخصيات الروائيّة التي سيكتب عنها (هنري).

أطلق حديثي مع (د. رانك) سيلاً من الحقائق الطريفة، فقد كان (رانك) يظن أنه سيظل (د. رانك) المنضبط طالما بقي في باريس - ولا يعيش حياته باعتباره رجلاً - لذلك أخذ يفكّر بالسفر إلى (نيويورك) ليتحرّر من الماضي ويغذّي الأمل بحياة جديدة..

وكنت عاملاً مهماً وضرورياً لهذا التحرّر، كان يريد أن يبدأ من جديد لكنّه لم يكن أكيداً من قدرته دون عون منّي.. ربما كنت الوحيدة التي تجد متعة مع الرجل المختبئ وراء شخصية (د. رانك). كانت لديه خطط كثيرة، فقد حدّثني عن كتاب فكه يعتزم كتابته عن (مارك توين).. عن انتحار مارك توين..

صدر كتاب (مدار السرطان) لـ(هنري ميللر) في اليوم ذاته الذي استقرّ فيه هنري في أول بيت حقيقي له.. الكتاب الذي بدأ العمل فيه قبل أربع سنوات، بدأه في المحترف الذي كان يقطن فيه مع (فرانكل).. دائرة مكتملة..

جلسنا جميعاً نرزم نسخ (مدار السرطان) ونثبت العناوين لكي نرسل النسخ بالبريد.

أشعر أنّني مقسّمة إلى ثلاث نفوس،

إحداها تعيش في (لوفيسانس)، وتمتلك خادمة إسبانية، وتتناول

Twitter: @ketab_n

إفطارها في السرير وتأكل لحوم الطرائد التي يصطادونها لها، تستمع إلى الراديو، تصدر الأوامر إلى البستاني، تدفع فواتيرها بواسطة (الصكوك)، وتستلقي أمام مدفأة الحطب، وتنسخ يومياتها وتقوم بترجمتها من الفرنسية إلى الإنكليزية.. نفس تحلم جوار النافذة وتقلق بشأن حياتها الراقية.

نفسي الأخرى في (فيلا سورا) مع (هنري ميللر) و(فريد) وسيل لا ينقطع من الناس يأتون ويخرجون..، وأنا أقوم بتقشير البطاطا وأطحن القهوة على الطريقة الفرنسية، وأرزم الكتب وأحتسي المشروبات بأكواب وكؤوس مثلومة استغنيت عنها في قصر (لوفيسانس)، أمشي على الطرقات المرصوفة بالقرميد إلى السوق لأصلح (الفرامافون) لأن هنري لا يجيد مثل هذه التفاصيل العملية.. أستقل الحافلة. أجلس في المقهى، أتحدّث طويلاً عن الكتب والأفلام والكتابة والكتاب، أدخّن بنهم وأرقب دخول الناس وخروجهم من الفيلا؛ فقد أقام هنري علاقات صداقة مع الجيران. أوّلهم (دي ماغريت).. الذي كان يأتي خارجاً من غرفة نومه إلى شرفته. ثم إلى شرفة هنري. ثم يتّجه إلى السلم، وأقام صداقة مع المرأة التي تقيم في الطابق الأرضي، وهي سيدة كانت تعيش في اليونان ومع مصوّر فوتوغرافي يعيش في الطابق السفلي.

نفسي الثالثة - تلك التي تجهد لتتعلّم وتكون كاتبة محترفة تكتب كما تريد وتؤمن وتساعد (د. رانك) ليبدأ حياة جديدة مثلما ساعدها لتصنع حياتها من جديد، شخصية تتوق لكل ما هو مجهول وغير مألوف.

أخيراً وعدته أن أذهب إلى نيويورك لمدة شهرين. وأشعر أنّ الشهرين يبدوان قصيرين جداً في دورة الأبدية.

ذبلت جميع الزهور التي تلقيتها أثناء مرضي، أنظر أحياناً إلى باقات الزهور وأرغب في سري أن أعود إلى أيام نقاهتي. إلى لحظات السكون والغبطة قبل أن تستعيد الحياة الدفّاقة قوّتها ودراماها من جديد.

Twitter: @ketab_n

قاومت العودة للحياة الحقيقية مرّة أخرى، ثم اندفعت إليها وأحسّ الآن بنشوة الصراعات الدائمة واستمتع على مدى بضعة أيام بالاختلاف والانفصال والتباعد..

أراقب كلّ شيء عن بعد...

رسائل والدي الوعظية، أفراح هنري ميللر أثناء صدور كتابه (مدار السرطان)..

يقول (د. رانك): لقد تعلّم هنري الثبات منك..

أمّا أنا فقد تعلّمت السرعة والتغيّر منه، الأصدقاء يغيّرون القيم والمفاهيم، ها هو هنري يتحدّث عن حياة الوقار والرصانة.

هاتفني (د. رانك) قائلاً بأنّ لديه أنباءً سارّة لي.. ستقوم النحاتة (كانا أورلوف) بعرض منحوتة لرأسي في معرضها وسيشتري رانك المنحوتة ليضعها في مكتبته، وترجوني النحاتة أن أجلس أمامها لتهيّئ المزيد من التخطيطات للتمثال..

قلت (لهنري ميللر): حقاً أنك تبتكر شخصيتك في كتبك وتقدّمها كل مرّة على نحو مختلف.. ففي (مدار السرطان) كنت مجرّد شخص معني بالجنس والطعام، أما في كتابك الثاني (ربيع أسود) فقد بدأت تمتلك عينين ويدين وقلباً وأذنين. ومع كل كتاب كنت تتم تخليق الرجل الذي فيك.. وستصبح فيما بعد جديراً بالكتابة عن المرأة، إنّما ليس الآن.. ولكن لماذا وهبت (العينين) في كتابك لشخصية (براساي) المصوّر الفوتوغرافي؟ لقد كانتا عينيك.. وقمت بوصف ما كنت تراه أنت، وليس ما يراه (براساي).. لماذا جعلت من (لوينفليس) شاعراً؟

إنها قصائدك تلك التي كنت تطريها وتمجّدها في هذا الكتاب..

***

Twitter: @ketab_n

تقيم (العرّافة) في شقة معتمة رثّة في حي عمّالي، قرب منطقة (كليشي)..

أناس فقراء ينتظرون في غرفة المعيشة ذات اللون البني، وأشجار النخيل الصناعية، وأحواض الأسماك الزجاجية، وأوراق الطالع التي علقت على الجدران: مدبرات منزل، بوابون، عمّال، نساء حوامل، أمناء مخازن، كم يتوقون إلى الأمل، ويحتاجون إلى معرفة ما يجهلونه عن أنفسهم.. أحسست بالخجل لأنني هناك لأسائل أيّاً كان عن قدري..

فكّرت بتفسيرات (فرويد) عن العرّافين، أنّ لديهم القدرة على قراءة ما تفكّر فيه ويجول في ذهنك.

لعلّني لم أدرك ما الذي سيعنيه فقداني لـ(د. رانك). أتراه سيكون فقداناً مؤكداً وحقيقياً كفقداني لأبي.. لعلّني كنت في خوف من المستقبل شأني شأن الفقراء من العمّال المنتظرين هناك.

طلبت منّي العرّافة أن أذهب إلى غرفة الطعام.. إنّها امرأة ذات هيئة مرهقة.. نحيلة بشعر أشعث وأظافر قذرة.. هناك آنية زهور اصطناعية فوق المائدة، وعلى الخوان المعتنى بترتيب محتوياته كرة زجاجية التقطتها المراة ووضعتها وسط مائدة الطعام على قطعة قماش حمراء. ثم أخبرتني بلثغة خفيفة ناتجة عن فقدان أحد أسنانها أنها ترى رجلاً في البحر - في طريقه إلى (أميركا)، وهو من ذكّرني برانك.. رأت سفرتي القادمة إلى أميركا ونجاحي في عملي الجديد، كانت ترى الآخرين على مقربة مني مشوّشين وغير واضحي المعالم ولكنّهم في محنة. ترى عودة أبي، رجل يناهز الخمسين. رجل سبّب لي الأذى. ولم أستطع التلاؤم معه والذي ضيّعتُ بسببه عواطفي وقوّتي.. رأتني أوقّع على ورقة.

أهذا كلّ ما هنالك؟..

Twitter: @ketab_n

أهذا كل ما تستطيع قوله؟ للمرضى، والمذعنين والناس المرهقين الذين كانوا يجلسون في غرفة انتظارها؟..

هربت، لأنساها، وذهبت لزيارة (مانويلا ديل ريو) لأرتّب الاستعدادات للتمرين على رقصاتي القديمة. كان رانك يصرّ على أن أعود لممارسة الرقص من جديد..

أحببت حذاءها المغبّر وصنوجها الرثّة.. أرديتها الحمراء البراقة والأرجوانية، وأمّها ذات العين الواحدة، والتي تشبه (القوادات)، وكلب (البودل) وصندوق الثياب المعدّ لنمرة الرقص في لندن..

غرزت في شعري مشطاً إسبانياً وتحدّثت عن رائحة المسرح عندما لم أكن قد شممتها حقيقة حتى الآن، ولكن ما أن سمعت (مانويلا) تقول:

- يوم الاثنين، في الحادية عشرة في (ساحة البيغال) في (ستوديو بيغال).. كان ذلك كافياً.. أضفت الدانتيلا السوداء لثوبي. وأعطيت أوراق الكتابة كلّها لهنري ميللر لأنني لست واثقة من أنّني سأواصل كتابة الكتب راهناً..

بدأت أعدّ صناديقي للرحيل إلى نيويورك وأخرجت صوري الفوتوغرافية من أطرها.

إنّ التفاصيل الصغيرة التي تمنحنا المتعة ليست ضرورية في عالم الأفكار.. إنها تدرج في الحياة من أجل المتعة.. جمال الحياة وقبحها وتفاصيلها.. الرائحة المبتذلة للملفوف الساخن. رائحة العالم. بعد دوامات الأحلام والأفكار، تأتي الأشياء الملموسة الدافئة، وحتى السقيمة المبتذلة.

في البدء - عندما كنت فتاة صغيرة، كنت أحب الأزرق والآن - البرتقالي - ولكني وجدت أن البرتقالي يكمّل الأزرق..

Twitter: @ketab_n

حزمت مخطوطة (بيت سفاح القربى) ودفاتر يومياتي ومخطوطة (شتاء الخديعة).

ذهبت إلى (د. رانك) لأحلّل أسباب صراعي مع أبي ثم لم أفعل شيئاً سوى إضافة أب آخر لحياتي.. وفقدان جديد.

عاد أبي الحقيقي من (كان) مريضاً، وأقمنا حوارات رقيقة دمثة، وأراني يديه المصابتين بالأكزيما، وأحسست في أعماق أوهامي بشيء من الحب إزاءه. وأبدى تفجعه على رحلتي إلى نيويورك...

أوجعني أن أؤجر (لوفيسانس) للغرباء.. كان عليّ أن أخلي البيت وأخزن الأشياء في المخزن.. وكانت النوافذ في آخر ليلة أمضيناها هناك عارية من الستائر.. كان القمر قد وجد له سبيلاً في النوافذ وكأنّه ضوء ثلجي، مستحيل درامي وراء الأغصان السوداء العارية، رأينا الفجر يبزغ أيضاً.. إنّه قمر (بيلياس وميلزاند) وفجرهما..

لقد اقتلعت نفسي من عالم حكايتي الخرافية، وتخليت عن قوقعتي، وعشي وملجأي، مستلقية في سريري الفارسي، أنظر إلى الحديقة، محمومة بالذكريات وأتطلّع إلى الوسائد البرتقالية والصندوق الصيني الأحمر والظلّة الفارسية التي جمعت معاً.. والأثاث في الشارع، والبوابة الخضراء الكبيرة قد فتحت وخلا البيت من محتوياته. البيت خال ومفتوح مثل هيكل عظمي والرجال يتحرّكون ليغلّفوا قطع الأثاث العزيزة بالبطانيات البالية..

كيف يمكن العيش في الحاضر حينما لا يكون ثمّة أحد هناك في الوقت ذاته.. لا أحد يتقاطع معك.. ولا أحد بوسعه الرد على أسئلتك.. إن الحاضر مصنوع من متعة تصادم جسدين غير سماويين في اندماج سماوي.

Twitter: @ketab_n

المجلد الثاني

كانون الثاني ١٩٣٥

ذهبت لزيارة الروائي (ثيودور درايزر) في فندق (أنسونيا)، وهو فندق غير معروف. غرفة الفندق لها نافذة واسعة تطل على (برودواي) وفيها بضعة كتب متناثرة ومنضدة مغطاة بالأوراق.

كان (درايزر) طويلاً ببشرة وردية كالمزارعين - له صوت كسول وضحكة مثل قوقأة الدجاج، عيناه الزرقاوان باهتتان ويداه يكسوهما النمش. قدَّمَ العشاء خدم الفندق، تحدّثنا في أشياء مختلفة، الكتّاب، الكتب، حدّثني (درايزر) أنّ كثيراً من الناس يكتبون له كما لو أنّه كان كاهناً ليعترفوا له بحيرتهم ومشكلاتهم ويسألونه النصح معتقدين أن الروائي سوف يعرف كيف يوجّه أقدارهم...

إنّه يتلقّى عدداً هائلاً من الرسائل ممّا يستوجب استخدام سكرتيرة له..

- وأنت؟. أليس لديك ما تسألينه؟.. أيعني هذا أنّك أتيت لرؤيتي فحسب. لا لتَطلبي منّي شيئاً؟

- ليس لديّ ما أسألك إياه.. إنّني أحترمك كاتباً ووددت أن أعرفك.. هذا كلّ ما في الأمر.

Twitter: @ketab_n

بدا عليه أنّه أحسّ بارتياح كبير وضحك ضحكته المقوقأة وغمرته البهجة.

سرد عليّ هذه القصة:

"هناك أسطورة عن ملك يستطيع تحويل المواد كلّها بلمسة منه إلى ذهب. وسمع كثير من الناس بنبأ هذه القدرة وأقبلوا من كلّ الجهات واحتشدوا في قصره واجتمعوا حوله وأحاطوا به، يتوسّلون ويتضرّعون ويشحذون ويتدافعون، وأخيراً وتحت وطأة ضغطهم الهائل اختنق الرجل...

ذلك ما أشعر به أحياناً بشأن كل هذا العدد المتزايد من الرسائل التي تصلني من الحائرين والشحاذين، ماذا أفعل؟

ترى ما الذي يظنه هؤلاء بي؟.. أيعتقدون أنّ الكاتب يستطيع توجيه حيواتهم؟

لم يكن (درايزر) يؤمن بالروح.. إنّه ذو نزعة مادية. كانت أضواء (برودواي) تتراقص صعوداً ونزولاً خلال حوارنا، وحتى في غرفة الفندق تدبر (درايزر) الأمر ليخلق جوّاً واقعيّاً كالذي يسود كتبه.

وسألني كيف استطعت امتلاك هذا التماسك والفردية ثم احتفظت بأنثويتي وأكّدت احتشامي..

بعد الغداء جلس على كرسيه الهزّاز وكأنّه في بيته الريفي وأبدى إعجابه بيدي وقارنهما بسيقان نبات الكرفس الطرية. وكدت أضحك من هذا الشعر (الزراعي) لكنّني فكرت أنئذٍ أنها عبارة (درايزرية) تماماً، بدا في غاية الانشراح فوق كرسيه الهزّاز.

عندما آن وقت مغادرتي، لم ينهض، لبث يهز كرسيه إلى الخلف والأمام ويبتسم.

Twitter: @ketab_n

ارتديت معطفي ووقفت إزاء الباب..

- أيعني هذا أنّك لن تمضي هذه الليلة معي؟

قلت: لا... (بكل تهذيب) بينما كان يقدّم لي كأساً من الشراب:

قلت: شكراً.

- أمر سيئ.. سيئ جداً..

لبث يدمدم ويقوقئ... ثم نهض بغتة وشيّعني حتى الباب وهو يواصل ضحكه..

في (حفلة الستوديو) التقيت بأصدقاء (هنري) (كوناسون) طبيب، (سلفيا سالمي)، مصوّرة فوتوغرافية، و(إميل شنيلوك) رسّام.

في باريس كان هنري يكتب رسائل دائمة إلى (إميل).

ذهب (د. رانك) في جولة تستغرق ثلاثة أسابيع لإلقاء محاضرات في (التحليل النفسي) في كاليفورنيا، ومحاضرات أخرى سيلقيها في نيوأورليانز في طريق عودته.

كان (د. رانك) منشغلاً بموضوعة (الشر) مثل (هنري).

***

ذهبت مع (هنري) لمشاهدة فيلم (شارع الأحزان المبكرة) حيث يلعب هنري دور صبي.. ليلة ثلجية في (بروكلين)، بيوت صغيرة من القرميد الأحمر كما في مدينة صغيرة في ألمانيا، مدرسة هنري - نافذة غرفته، عارية تماماً إلاّ من ظلّة عتيقة من الخشب، معمل الصفيح الذي وصفه في كتابه (ربيع أسود).. الشارع الذي يوصل إلى العبّارة (المعدّية). الشارع الذي سار فيه وحيداً مع أمّه، كانت أمّه ترتدي (موف) من الفرو لتدفئة اليدين وهو لن

Twitter: @ketab_n

ينسى متعة دسّ يديه في دفء الفراء أبداً.. وحدست من حديثه هذا أنّ هذا الدفء هو الدفء الوحيد الذي استطاعت أمّه أن تمنحه إيّاه في مواجهة الثلج والبرد.. دفء الفراء الحيواني لا الدفء الإنساني..

إنّه لمن الغريب حقاً أن أشاهد الأماكن والذكريات التي انبعثت فيها الحياة في (لوفيساينس) عن طريق الدفء الذي أثاره شغفنا وتحوّلت إلى شعر في كتابه (ربيع أسود).

سرنا حتى (بروكلين) إلى الشقة - القبو حيث عاش هنري مع زوجته (جون) ثم زوجته (جين) وقد تحوّلت إلى مطعم، كان المكان قاحلاً وخاوياً.. دون أية لمسة جمال أو مسحة من سحر.. ولكن لم يكن بأسوأ من البيوت التي كان يقيم فيها أصدقائي الفنّانون في باريس. أماكن مظلمة رطبة دون تدفئة أو إضاءة.

منذ أمد بعيد كنت قد رأيت تبريرات هنري لنوبات غضبه وعدائيته وانتقاماته فآمنت بأنّها جميعاً ردود فعل لمعاناة غير عادية.. وقد أظهر كثير من الكتّاب الأميركان هذه المرارة والحقد..

ولكنّي عندما أقارن حيواتهم ومعاناتهم مع حيوات الأدباء الأوروبيين (دوستويفسكي أو كافكا) أجد أنّ عذابات الأوروبي أشدّ وطأة.. فالجميع عرفوا الفاقة والبؤس العظيم ولكنّهم لم يتحوّلوا إلى غاضبين أو أناساً عدوانيين مثل (ادوارد داهلبرغ) أو (هنري ميللر)؛ إذ يمكن تحويل الغيظ والغضب إلى أعمال أدبية، وإلى حنو إنساني.

إن مرض الربو الذي أصاب (بروست)، ونفي (دوستويفسكي) إلى (سيبيريا) ارتبط كل ذلك بحنوهما على الإنسانية.

أمّا حرمان بعض الكتّاب الأميركان وبعض عذابهم فقد انقلب إلى تمرّد

Twitter: @ketab_n

وغضب جنائي وانتقام من الآخرين.. ثمّة غياب شامل للعاطفة والمشاعر. إنّهم يحمّلون المجتمع المسؤولية فتجيء كتاباتهم كفعل من أفعال الثأر..

ويخيّل إليّ أنّ الجواب يكمن في الموقف من المعاناة، فبعض الكتّاب الأميركيين لا يرضون بديلاً عن الفردوس، الفردوس ولا شيء سواه. أمّا بالنسبة للأوروبيين فإنّه جزء من الوضع البشري، وشيء يمكن تقاسمه مع الكائنات الإنسانية الأخرى.

***

يكتب (هنري) الآن قصّة عن قاتل في إحدى ضواحي (باريس) وبعدها ينغمر في مزاج عاطفي شعري أُعدّه من أفضل حالاته..

كان يمضي في السرد على نحو محموم ويكتب أوراقاً يضيفها إلى (ربيع أسود)، أوراق عن الأحلام وتدفّق الصور..

Twitter: @ketab_n

المجلد الثاني

نيسان ١٩٣٥

... يؤمن (د. رانك) أنّك لكي تبدع يجب أن تمارس التخريب. والمرأة لا يمكن أن تدمّر شيئاً. ولهذا يفسّر قلّة عدد المبدعات الكبيرات بين النساء..

ومن أجل أن أبدع أعمالي دون تدمير.. فإنّني أدمّر نفسي بشكل من الأشكال..

- هنري عاد إلى الرسم مع صديقه الرسّام (إميل). جعلني (د. رانك) أنجز كتابي (بيت سفاح القربى) وأعانني على اكتشاف المعاني الجوهرية وأصبحت قادرة على صنع نوع من التراكيب.

إنه هو الذي قال:

- لماذا ينتهي الكتاب هنا طبعاً يجب أن ينتهي عند فصل الراقصة.. وهذه الصفحة عن المخدرات.. (عندما قلت لـ(سابينا): سوف أكتب لأجلك.. وكتابتي هي المخدّر الذي نتناوله). هذه الصفحة مهمّة جداً ويجب أن لا تحذف..

لقد قلت ما كنت أشعر به وأنا أقرأ المخطوطة في القطار.. إنّها فعلاً تشبه المخدّر.. لقد استيقظت عندما بلغت النهاية كما لو أنّني كنت مستغرقة في الحلم.. إذا تقبّل الناس لغتك، فلسوف يحسّون وكأنّهم مخدّرون..

Twitter: @ketab_n

كان لديّ فائض من الوقت خلال عملي مع (د. رانك) في التحليل النفسي، فاغتنمت الفرصة لدراسة أثر اللغة الفنيّة الإبداعية في مقابل اللّغة العلميّة.

- أنجز هنري (ربيع أسود) وقابل (وليم كارلوس وليامز).

- غداء مع (ربيكا ويست) واستمتعنا بالحديث عن أوّل لقاء لنا في (١٩٣٢).. كتبت لي (ربيكا ويست) عن كتابي حول (د. هـ. لورنس) وقد أثنت عليه وثمّنته ودعتني لزيارتها.. وكتبت عرضاً من أفضل العروض له.. كنت قد ذهبت إلى لندن مع مخطوطة (مدار السرطان). فأحببت (ربيكا).. أحببت تلقائيتها ودفئها وعينيها القاتمتين البرّاقتين وموهبتها. زارتني في (لوفيسانس)، تحدّثنا طويلاً وضللنا الطريق في الغابة وقمنا بمهاتفة أحد الأصدقاء ليأتي وينقلنا بسيارته..

وقمنا برحلة مشتركة هي مع زوجها وأنا مع زوجي.. تميّزت بالمرح والحيوية.

لم تنجز (ربيكا) كتابها بسبب العمليّة، كانت تخشى أنّها لن تواصل الحياة.. كانت تقول:

- أتوق إلى رؤية الربيع مرّة أخرى..

وها هي الآن حيّة في نيويورك متشبّثة بالحياة. وقد ذكّرتها بالمشهد الرائع في (لوفيسانيس) عندما انتهينا من قراءة كتابي (شتاء الخديعة) فطافت الدموع في عينيها وقالت: هل كان أبو نا رجلاً سيئاً؟

قدّمتني (ربيكا ويست) إلى (نورمان بيل غيديس) و(رايموند ماسي) باعتباري: المرأة التي كتبت أفضل كتاب عن (د. هـ. لورنس).

ذهبنا جميعاً لمشاهدة لعبة (هوكي الجليد) في (ماديسون سكوير).

Twitter: @ketab_n

سرعة عنيفة، قوّة جسدية، أضواء كشّافة ساطعة، روائح نفاذة، موسيقى صاخبة، أصوات جشّاء تصرخ... أنوف مكسورة.. عنف.

شربنا لدى (روبنز) حيث كان (ايدي كانتور) يقدّم حفلاً والمخرج (ماكس راينر هارد) يتقاسم الغداء مع اثنتين من الممثلات ومصمّم ديكور مسرحي. شاركنا (جون هيوستن) وتحدّث إليّ بتهذيب جم.

ثم اتجهنا إلى حي (هارلم). أوّل الأمر إلى (نادٍ ليلي) لنستمع إلى بعض الأغاني ثم إلى شقّة خاصة.. كان كل الحاضرين منهمكين في الرقص والشراب. أناس نصف ملوّنين، نصف بيض، نساء فاتنات، رجال متطرفون، وموسيقى الجاز. إنّه جو مخمور وسحري رائع بكل هذه الضحكات والرقص..

لكنني افتقدت تلك الحميمية التي تخلقها مثل هذه الحفلات في باريس.. هنا كل شيء يبدو مزاحاً، وهزلاً ومراوغة.

قال لي (نورمان بيل غيدسي) بأنّني أبدو مثل سيّدة في منمنمة فارسية، ولكن بعد عشر دقائق لم يعد معنيّاً بأحد ونسي من جاؤوا معه، أما (جون هيوستون) فقد كان فظاً وحيوياً وساخراً وممتعاً، أما (رايموند ماسي) فقد كان محيّراً وغامضاً بحديثه البطيء ونظراته الرصينة عبر أهدابه الكثّة..

المزيد من الشراب.. المزيد من الأحاديث.. في أحد النوادي الخاصة عندما بلغ التهكّم أقصاه، بدأت أتنحّى وأنسحب عندما أخذوا يسخرون من بعضهم ويدمّر أحدهم الآخر.. أحسست بمدى حميميتي مع مرضاي في عيادة التحليل النفسي.

أشعر بأنني قريبة جداً من البشر المعذّبين أكثر من قربي لهؤلاء العابثين الساخرين الحاقدين.

تبدأ معظم الأماسي العابثة الهازلة على نحو طيب. أبدأ معها بازدهاء

Twitter: @ketab_n

وجذل وانشراح وفضول وحب للمغامرة، غير أنّ متعتي وراحتي تبدآن بالتناقص والزوال، السخرية، الهزل. السفاهة كلّها تحيل دمي إلى جليد، وكأنّني أشهد فصولاً من السادية.

بحثت عن مخرج.. عن ذريعة للهرب.. تصاعد غثياني وتقلّصت حنجرتي ولم أعد قادرة على الاستمتاع بالطعّام والشراب.. أردت أن أغادر، إذا كان كل الحاضرين ثملين وحاقدين فإن المغادرة تصبح واجباً ملزماً.. أبديت مبرّرات غير مقنعة، وكانت كل ثانية تغدو عذاباً أكيداً.. عدت إلى البيت. غاضبة من نفسي، لقد دمّرت أمسيتي، ولا أدري لماذا.... وداعاً... وداعاً..

***

كان هناك لقاء للمحلّلين النفسيين وكنّا سبعة في القطار نتّجه إلى (لونغ بيتش)..

كان الفندق يبدو شبيهاً بالإصلاحية من الخارج وأقرب إلى الماخور في الداخل.. كل شيء أحمر وذهبي، كان البحر هناك.. وكان صوت إيقاع الموج يتحطّم على هذر المذياع. في صالة الطعام المنسّقة التي يجب أن يمرّ بها الجميع، لا يمرّ بها أحد، والجميع يثبّتون أسماءهم على طيّات جاكيتاتهم، أعضاء مؤتمر، البحر لا يرى من هنا، فقد أسدلت الستائر المتربة، وثمّة بعض الندل وكثير من الرموز على الأبواب، كثير من الأجراس، الكثير من المرايا والسجاد وأعقاب السجائر في مزهريات ملئت رمالاً، والبحر كان قد توارى وأخلد للصمت..

اكتشفت ذلك المساء خلال العشاء - أنني لا أنتمي إلى عالم المحلّلين النفسانيين وكانت لعبتي مفضوحة باستمرار..

Twitter: @ketab_n

لدى الأبواب يقف دائماً جامعو البطاقات، يسألونني.

- أحقاً.. أنت من المؤتمر؟

- حقيقة أنت معهم؟

- هل أنت محلّلة نفسانية؟

وكانوا يكتشفون دوماً أنّني محتالة فلا يستقبلونني..

إنّني أبحث عن صيغة للحياة التي أرجو أن تتواصل في دفقها مثل بناء سيمفوني..

كلمة السر كانت البحر.. الحياة الأوقيانوسية التي علّبت وحبست في القناني ووضعت عليها الماركة التجاريّة. أحسّ تحت قدمي تحت أرض الفندق باضطراب وهدير البحر وطبيعتي التي لم تندغم قط مع مهنة التحليل النفسي ولم ترتبط معها بأي نوع من الزواج الثابت.

لم أكن أسمع المناقشات، كنت أصغي إلى هدير البحر وخفقاته..

وفي هذا اليوم بالذات قرّرت نهائياً أن أكون كاتبة، وأنّني لم أكن غير كاتبة ولا شيء سوى ذلك.. كاتبة وليس محلّلة نفسية.

كنت الآن مهيّأة للعودة للوطن، والشروع بكتابة رواية.

وبعد بعضة أيّام أبحرت عائدة، وعندما غادرت كانت نيويورك مغمورة بالضباب، ولم أسمع غير صفير الباخرة.

Twitter: @ketab_n

المجلد الثاني

تشرين الأول ١٩٣٥

أعمل طوال الصباح في كتابي (شتاء الخديعة) ثم أسير بعد الغداء على ضفاف (السين). أحسّ بسعادة غامرة لكوني قريبة من النهر..

تتناهى إليّ ضجّة المقاهي.. لا نقود لديّ.. أغمض عينيّ عندما أمرّ أمام المخازن.

(هنري ميللر) يعمل هو الآخر ويحذف بضع صفحات لم ترق لي، فيها جعجعة ومواعظ وبعض أسفاف..

***

كان واضحاً تماماً أن (السوريالية) تعني شيئاً مختلفاً بالنسبة لهنري... فأنا أمتلك أسلوباً بسيطاً كما في كتابي عن والدي، أسلوب مباشر شبيه باليوميات والكتابة الوثائقية. أما أسلوب هنري فيمتاز بالثراء ويبدو كالهراء بالنسبة للعقل المتمعّن.

أستدير وأعود للكتابة..

الصفحات المحدّدة التي كتبتها عن والدي كانت عميقة تمسّ المشاعر، فقد كنت أمينة تماماً وأنجزتها بأسلوب بسيط خال من الزخرف، كان كل ما يشغلني هو كيف سأكتب ما أريده بعفوية تامّة.

Twitter: @ketab_n

أنهيت الصفحة الأخيرة من (شتاء الخديعة) وهي عن ذكرياتي يوم أفقت من التخدير فرأيت فتاة صغيرة ميتة بأهداب طويلة ورأس صغير.. هذه الفتاة ماتت في داخلي وبموتها ماتت حاجتي إلى الأب.

العاطفة الجيّاشة التي كتبت بها الصفحات الأخيرة، والسطور الأخيرة كانت من القوّة بحيث أنّني لم أتوصّل إلى إدراك معانيها إلاّ في وقت متأخّر جداً..

لم ينتهِ الكتاب، إنّه في منتصف رحلة الكتابة، كتبت الصفحات العاطفية في هذا الكتاب دونما ترتيب، ثم بدأت أملأ الفراغات وأشكّل مبنى الكتاب وكنت في مزاج جاد ميّال إلى العزلة والاعتكاف ولم أعرف أيّة متعة سوى متعة الكتابة المتقشّفة.

مفتاح عمل (هنري ميللر) يمكن حصره في كلمة (التهكميّة)، فهو التهكّمي المضحك في موضوعه الجنسي، والتهكّمي في الأفكار، المضحك في (هاملت)، المضحك في (برغسون) أو (مينوفسكي)، المضحك في الحياة..

أمّا ما أشعر به فهو غاية في العمق وبالتالي موغل في إنسانيته.

كتبت هذا الكتاب عن والدي فأحسست بالوحدة لأنّني انتزعت نفسي من أجواء (هنري) والحياة في فيلاسورا.

إنّ الصراع ما بين ذاتي الأنثوية التي تريد العيش في عالم محكوم بقانون الرجل وتحيا في تناغم مع الرجال، وبين المبدعة القادرة على ابتكار عالم وإيقاع ينتميان إليها - أدّى إلى استحالة وجود أحد يشاركني عالمي الخاص.. ثمّة رغبة لديّ للاكتشاف وهناك احتداماتي وانفعالاتي.. هناك المخيلة، والبهاء..

***

Twitter: @ketab_n

انتهيت من كتابة الصفحات العاطفية حول والدي في (شتاء الخديعة) فانتهى الصراع مع ازدواجية وتناقضات كتابة (هنري).

إنّه يعبّر عن فكرة ما ويوشك أن يتحدّث عن الجانب الساخر فيها في الوقت ذاته. يطرح الفكرة ثم يسخر منها..

دار بيننا حوار صاخب حول ما أسعى للبرهنة عليه:

- يمكن للإنسان أن يكون معارضاً لا متناقضاً، لأن الإبداع سيكون مستحيلاً في حالة التناقض.. الإبداع لا بدّ أن ينحاز، فهناك مدى بين النسبية والتعارضات الهدّامة..

قال هنري: (التهكميّة؛ إنّها وسيلة للتخريب..)

نعم إنّ موهبة هنري مكرّسة للهدم.. ولكن ما الذي يهدّمه؟ عالم الافكار؟..

إنّ أفضل سبيل لتخريب عالم الأفكار هو في العيش والكتابة عن الحياة والرغبات..

لكنّه لم يول ظهره للأفكار، ففي لحظة بدا منتشياً بفكرة (الموت)، فقد أثاره موت (فرانكل) وأيقظه مثلما فعل بي (د. هـ. لورنس)، وبدأ مقالته عن الموت اللعين لفرانكل بأربع صفحات رصينة ثم أنهى الموضوع بعشرين صفحة تهكمية ساخرة.

أبدأ من اليوم الذي تحدّثت فيه إلى النحاتة (جين).

ألقيت نفسي مرّة أخرى في دوامة الحياة: الباليه، الحفلات الموسيقية، التقيت (رينيه لالو) و(جون كاربنتيه) و(سلفادور دالي)..

وحلّ محلي في (فيلا سورا) التي لم أستطع التناغم معها شيء ما.. نوع

Twitter: @ketab_n

من (الدادائية). لقد أوصدت الأبواب في وجهي، وما عدت قادرة على كسب قوتي في عملي (محلّلة نفسية) دون وجود (د. رانك) ووجدتني عاجزة عن الشروع في عملية إنشاء دار نشر لأن (فرانكل) هيمن على المطبعة ولم يكن بوسعي السفر وأنا خالية الوفاض..

قال هنري: أشعر باليأس إزاء بلادة العالم... فلم يعثر على الصدى الذي ينشده..

كنا نتحدّث ونسير على جانب (السين) والضباب يدوّم حولنا وكأنّنا في متاهة تماثل مزاجي الكئيب.

التقيت الشاعر (جول سوبرفيل).. عينان خضلتان حالمتان، رجل مسكون له جذور بشرية، إنه أمريكي جنوبي إلى حدٍّ ما.. كتب حكايات خرافية غنائية ممتعة. وأنجز قصائد رقيقة، وهو مولع بالغموض والفانتازيا، قرأ لي قصائده الجديدة بشيء من الشجن..

تحدّثنا عن (السوريالية). لم يكن (سوبرفيل) يميل إلى السورياليين لأنّه يسعى إلى البساطة والإنسانية. واتفق معي بأن الأحلام تمتلك الصفاء والوضوح وهو يحلم ليل نهار ويكره (السوريالية) لأنّها ضرب من فوضى تنافي كل منطق.

لقد ابتكر (سوبرفيل) عالماً من إبداعه ليس ببعيد عن الواقع - عالم مسكون بالأطفال والفكاهة والغرابة والبحر والبيوت والحدائق والحيوانات..

وقال إنّه كان يحاول دوماً الإمساك بالرجل الذي يريد أن يصير إليه.

Twitter: @ketab_n

(غونزالو. إسبانيا)

حزيران ١٩٣٦

(٣٠ كواي دي باسي)

ابتكار جو جديد دونما أمل أو متعة، دونما شعور بالديمومة أو إيمان بالحق في البقاء.. إنما بالجمال المحتوم..

بالعصرية، البساطة، المسرّة، النور.. جدران برتقالية، أبسطة صوف بيضاء من مراكش، مقاعد من خشب البلوط الفاتح مكسوّة بالجلد العاجي اللون.. مائدة هائلة من خشب الصنوبر ذات سطح بلون الرمل الباهت الذي نراه على الشواطئ.

إشراقات وابتعاد عن التكلّف، ابتدعته خلال نهارات الصيف الحارة بسبب نفوري من (فيلا سورا)..

تبدو (فيلا سورا) شبيهة بالرمل والاسفنج، والفناء..

أقمت حفلاً بيتياً حميماً بمناسبة انتقالي إلى البيت الجديد، ودعوت فرقة مغنيين قادمين من (تاهيتي) وعلّقت فوانيس من ورق برتقالي، وملأت المكان بأصص نباتات استوائية بديعة، وكانت الأبواب مشرّعة على الشرفات ونهر السين يتدفّق متلألئاً أمامنا.

عزف رجال الفرقة التاهيتية ورقصت النساء.

Twitter: @ketab_n

كانت ليلة مهرجان استوائي حقيقية بكل هذا الرقص المثير والأصوات والفوانيس والنباتات الباهرة والنهر المتلألئ تحتنا..

أخبرني أحد الأصدقاء عن شاعر ومنجّم مشهور اسمه (كونراد موريكاند) الذي عرف (بيكاسو) و(لويس جوفيه) و(ماكس جاكوب) و(بلياس سندرارس) وكتب عنهم.. فدعوته وحضر إلى حفلي.. كان شاحباً، وذا إطلالة ارستقراطية.

قال لي: عندما سمعت صوتك في الهاتف خيّل إليّ أنّه صوت قادم من كوكب آخر..

كان (غونزالو) الصحفي والرسّام القادم من (بيرو) أطول الجميع، الهندي من شعب (الأنكا) ذو العينين الفحميتين والشعر الأسود الوحشي... وقد صدمتني بشرته القاتمة التي تشعّ فيها ابتسامة طفولية مشرقة توزّع اشعاعاتها هنا وهناك.

كان غامضاً وحالماً ومفعماً بالنبالة والعمق. طراز غامض وأرضي أيضاً.

همس لي خلال الرقص:

- أنت قوية جداً. قوية ورقيقة جداً.

أيّة سطوة تملكين عليّ؟.. إنّني أهابك، صوتك، إنّه صوت غريب جداً وكل ما فيك بالغ الإثارة والرهافة، أنت زهرة الأشياء كلّها. أنت طراز قائم بذاته، أنت شذا وخلاصة الأشياء كلّها..

أنت تشدخين رأسك بمجابهة واقعية العالم.. أنت لم تشاهدي المدينة - البيوت، الرجال كما هم هنالك.. أنابيس - لقد رأيت آلاف النساء إنّما لا واحدة تماثلك أبداً..

عيناه تماثلان الليل.. ليل بلا قمر.. إنّني أخيفه بقدر ما يخيفني، لأنّني أخاف الحلم..

Twitter: @ketab_n

صوته كان منخفضاً ومبحوحاً وكان يحدّثني بالإسبانية وبالإسبانية أسمع الأشياء بواسطة الجسد والأحاسيس وأسمعها بدمي لا بعقلي عبر قنوات خفية من الذكريات المهدّئة..

لقد لامست (أنابيس) أخرى، واحدة بالكاد أعرفها..

* الحرب الأهلية الإسبانية غير مؤكدة.. وكأنّ (غونزالو) أتى ليجيب على تساؤلاتي:

- ما الذي تعنيه هذه الحرب.. وما الذي أستطيع فعله، باعتباري مبدعة..

لربما كان بوسعه أن يجيب، لأنّه يعرف ما تعنيه هذه الحرب وما ينبغي القيام به..

ذهب غونزالو للنوم وكتابي (بيت سفاح القربى) تحت وسادته يقرأه مرّات ومرّات (كأنّه المخدر).

اصطحبني (غونزالو) إلى حفل كبير في منزل الروائي الكوبي (اليخوكاربنتير). كان المحترف الواسع يطلّ على نهر السين.. رقص التاهيتيون وغنّوا..

كانت (هيلبا) زوجة (غونزالو) تجلس على حشية وتتفرّج في كتاب عن الفن منسحبة ومعزولة، لا بسبب أنّها (صمّاء) لأنّ ثمّة أشياء يمكنها سماعها، كانت ذراعا غونزالو بلونهما البُني المذهّب عاريتين وهو يواصل الهمس في أذني:

- أنابيس أية سطوة لديك.. روحانية وحيوية، أنت مغلّفة بالخرافات والأساطير.. إنّ لك تأثير السياط عليّ.. عندما رأيتك للمرّة الأولى شعرت بصدمة، لقد أيقظت كبريائي فالتجأت إلى الشراب لأنّني أردت أن أكون..

Twitter: @ketab_n

كان يتحدّث عن بلده (بيرو)، عن ممتلكاته ومزارعه، عن والده السكوتلندي الذي تزوّج امرأة هندية، تحدث عن ثقافة (الأنكا)، عن الأساطير، عن المسافات الشاسعة بين المزارع، عن الهيمنة الهائلة للطبيعة، عن ممارسته للصيد، ورهبان (الجزويت) الذين تولوا تربيته، رائحة صناديق سيجار والده وعبق الأثاث المصنوع من خشب الأرز والأيام التي أمضاها على ظهور الجياد مجتازاً المضائق المهلكة بين الوديان الكبيرة والشلالات التي تدفع أصواتها (الهنود الحمر) إلى النوم، وغالباً ما يداهمهم الموت وهم نيّام، وعن ضرورة مضغ نبات (الكوكا) المخدّر لمن يعيش على تلك المرتفعات الشاهقة لجبال (الأنديز). تحدّث عن مربيته الهندية وعن أوّل حب له.. عن تمثال (المادونا) من القرن الرابع عشر واليوم الذي أقسم فيه أن يبحث عن الوجه الشبيه بوجهها.. وها هو يجده.. إنّه وجه أنابيس نن..

كان يتحدّث كتراتيل هندية، قصائد، أساطير وحكايا، وسحرتني أحاديثه. فتنت بالحياة في الوقت الذي جاءني بكتب (كارل ماركس) وأخذ يشرح لي معنى الإضرابات. قال لي: أنّه أتى لينقذني مما سيحدث فالعالم بأجمعه موشك على الانفجار، ولا بدّ أن تقوم الثورة في فرنسا...

أراد أن يرى (لوفيسانس) لأنني حدثته عنه، استقلينا القطار وجعلته يرى البيت، كان (لوفيسانس) يحتضر..: الأخشاب تتحلّل، وتتعفّن. المطر ينهمر والأشباح تهيم في أرجائه وعبق البيوت العتيقة حيث أغطية المخمل المنسولة الوبر.. زرنا الحديقة التي تعرشت فيها النباتات وامتلأت بالأدغال،

سرنا على شاطئ النهر وجلسنا في مقهى عمّالي.

هنا، بدأ يتحدّث عن الثورة مرّة أخرى وأنحى عليّ باللوم لأنني أحيا في عالم الفن والفنّانين فقط. العالم الذي يجهل كل شيء عن السياسة ورجالها..

- عندما يحدث التغيير سأكون قادراً على حمايتك..

Twitter: @ketab_n

نحن الآن في (نوتردام)، يبدو أنّه يعيش عوالم متعدِّدة. أحدها كاثوليكي متديِّن، والآخر عالم (الأنكا) الذي ينتمي لطفولته. العالم الوثني العتيق، الثالث عالم الحاضر - الماركسي..

اجتاح صوت (الأورغن) قاعة الكنيسة وانهمر ضوء أرجواني من وراء زجاج النوافذ الملوّن. كنا في الماضي.. ثم في المستقبل..

حتى الآن كنتُ أجد عالم السياسة فاسداً وقبيحاً، لا شيء أستطيع أداءه هناك..

فما الذي أنفعهم فيه..؟

تحدث غونزالو إلى العمّال ثم ذهبنا إلى شارع (لاجايتيه) واشتريت لي طقماً رمادياً بعشرة دولارات ومسحت طلاء أظافري وذهبت معه إلى اجتماع سياسي حيث كان (بابلونيرودا) يتحدث.. كان (نيرودا) بديناً وشديد الشحوب. ثم ألقى بعض قصائده بصوت باهت واهن.. لكن الخطابات التي تلت قراءاته ألقيت بالإسبانية فوجدتها ساخنة حيوية.

بدا (غونزالو) أليفاً مرحاً وأخوياً في تعامله مع العمّال، ووجدت أنهم كانوا يمنحونه ثقتهم ومحبتهم رغم عدم فهمهم للغته الفرنسية السيئة..

ذهبت لزيارة غونزالو وزوجته (هيلبا) في بيتهما الذي لم أزره من قبل.. استقبلني لدى باب عمارة عتيقة جداً ثم هبطنا سلَّماً مظلماً يقضي إلى سرداب ورأيت الجدران ملوَّثة بالسناج وكأنّ ناراً قد أوقدت هنا.. أوصلتنا فسحة السلم إلى ستوديو له نافذة كبيرة تتعذّر الرؤية خلال زجاجها المتّسخ. لم أشاهد شيئاً في البداية ثم تبيّنت أن (هيلبا) كانت مستلقية على الأريكة وقد تدثّرت ببطانية رثّة وبعض المعاطف وتناثر شعرها الأسود المشعّث حول وجهها، ابتسمت بشفتيها لكنّ عينيها ظلّتا عابستين وقد استقرّت إلى جانبها على أحد الكراسي مجموعة من علب الأدوية والأقراص.

Twitter: @ketab_n

اكتسى وجهها بتعبيرين متناقضين، أوّلهما يوحي بنوع من التوسّل الموجع الذي يشابه ضراعة المتسوّلين، والآخر فيه استجداء واضح للشفقة لما تعانيه هيلبا من آلام تقلّص معها وجهها تقلّصاً بشعاً، ثم سرعان ما رسمت تعبيراً آخر أفصح عن دهاء ومكر وريبة مخيفة تبعث على الاحتقار...

منحتها ما أرادت من شفقة وجلست على حافة سريرها ويدها في يدي.

عاد غونزالو حاملاً الحطب وألقى به في المدفأة وأوقده ثم وضع إناءً حديدياً عميقاً فوق النار ليسلق فيه البطاطا...

حلّ الظلام فأشعل غونزالو قطعاً من الشحم مثبتة في صحون صغيرة بعد أن وضع فيها فتائل من الخيوط بديلاً للشموع.

قادني إلى غرفة أكثر عتمة من سابقتها كتلك الأماكن التي تحفل بها قصص (دوستويفسكي) وتروي بؤس وقتامة الحياة الإنسانية، كان (دوستويفسكي) حاضراً في ذهني عندما أذهلني (غونزالو) وكأنّه أدرك ما أفكّر فيه.

- أريد أن أقدّمك إلى (إيفان) الذي غادر السجن توّاً بسبب سرقته المجموعة الكاملة لأعمال (دوستويفسكي)، وكان القاضي الفرنسي رجلاً لطيفاً يتميّز بذائقة أدبية رفيعة وقال لإيفان:

- لو أنك قمت بسرقة مؤلّفات كاتب رديء لحكمت عليك بالسجن لمدّة شهرين كاملين، أمّا وأنّك أقدمت على سرقة أعمال (دوستويفسكي) فإنّني سأكتفي بالحجز عليك لمدّة أسبوع فقط..

وعندما غادر (إيفان) السجن وجد بانتظاره هدية من القاضي هي المجموعة الكاملة لأعمال (دوستويفسكي) مغلّفة بالورق الأسمر..

قال (غونزالو): أنابيس، أنت أجّجت اعتزازي بنفسي بعد أن كنت قاسياً مع ذاتي وكنت أتسوّل وأسكر ولا أقوم بفعل شيء ذي قيمة... في الحقيقة كنت

Twitter: @ketab_n

في حالة احتضار أمّا الآن فإنّني أتوق للحياة.. لقد وهبتني رغبة العيش.. كل هذا بفضل وجهك.. وجه إسبانيا القديمة. لطالما كنت أبحث عمّا يدهشني ويذهلني وكنت أسعى إلى ما هو بعيد عن الواقع، فإنّ بي ظمأ لمجابهة الخطر وتوقاً للبطولة.. أريد الذهاب إلى إسبانيا للقتال مع الجمهوريين..

آلمني وطعنني موت الجمهوريين في إسبانيا وكأنني أشهد موت جسد أعشقه..

إنّني حسّاسة إزاء أي وجه أقابله في الشارع، وكلّ ورقة شجر وكل سحابة وكلّ شكل من أشكال الحب... أثمّة امرأة كونيّة تحيا في أعماقي؟..

لم أكن آبه للمأساة السياسية التي تجري أحداثها في إسبانيا وبالتحديد لم أكن منحازة إلى أي طرف فيها، فالكل في اعتقادي، السياسيون جميعاً أصابهم العفن في أعماقهم. والكلّ يستندون إلى رجال الاقتصاد والمال لا إلى المبادئ الإنسانية.

تبدو لي عذابات العالم ومعاناته ميؤوساً من شفائها باستثناء ما يمكننا القيام به منفردين.

لم أكن أثق بأحد، بأيّة حركة أو نظام، غير أنّ الفاجعة تمضي قدماً وإسبانيا تنزف على نحو مأساوي فاجع..

أحسّ أنّني يجب أن أتّخذ موقفاً وأنحاز إلى أحد الأطراف. ولكن ينبغي لي أوّلاً أن أجد القائد الذي أمنحه ثقتي وأموت من أجله لكي نرى الخيانة والقبح في منأى عن الناس.. دونما مثاليات ولا بطولات ولا تضحية بالنفس.. إذا ما التقيت هذا الثائر الذي سيكون رجلاً عظيماً، إنسانياً، كائناً إنسانياً، عندئذ سوف أناصره وأقاتل وأموت..

أنا لا أعرف ما إذا كنت ذات نفع..

Twitter: @ketab_n

لسنا نثمن الملوك وإنّما رمز القائد.. وبيد أنّنا الآن بلا قادة ولا طقوس ولا شعائر ولا أوامر.. إننا نناضل فحسب من أجل الخبز، نحن معدمون تماماً في واقع الأمر..

- انتهى كتاب (ربيع أسود) وأهديَ إليّ..

Twitter: @ketab_n

موريكاند: شاعر ومُنَجِّم..
وشيطان في الجنة..

آب ١٩٣٦

لم يتوجّه (غونزالو) إلى إسبانيا حتى الآن، بعيداً عن ولعه بالعظمة والمجد والمعارك فإنّه يتوق فعلاً للموت..

التسامي يؤدّي إلى التلاشي..

المسرّات مخترقة بالميلانخوليا، أبدو مجهدة، عصبية، أصارع من أجل الحب في عالم مليء بالخراب.. أين هي المسرّات، مسراتي؟

أسير إلى البيت في صحبة (غونزالو) وهو يتحدث عن الحاجة والتضحية والموت من أجل عالمنا..

- أود أن أموت شهيداً، أنا يس..

بعيداً عن عالم الفن والإبداع وقريباً من عالم الموت..

إنني لا أرى الموت إلاّ موتاً..

أيّة ولادة سيمنح موت (غوانزالو) لهذا العالم؟

لا أستطيع انتزاع غونزالو من عالم الأفعال.. عالم الجهود السياسية لأنّه يؤمن بها..

Twitter: @ketab_n

الفن هو عقيدتي الوحيدة، لست أؤمن بالسياسة، في هذه الأثناء نما كتاب (هنري) وصار عملاً ضخماً مسجلاً بخلايا اللقاح والدماء و(هنري) يزداد وداعة ورقّة ويصبح سهل القياد..

كان الطقس غائماً، لا صيف، لا شمس، لا شيء سوى المأساة والموت..

صدر كتاب (ربيع أسود) فقال (هنري)

- لقد شحنت...

في الساعة الثانية عشرة تجوّلت على دراجتي في شوارع باريس وأنا أتساءل عما إذا كانت الحرب قد وصلت إلينا، من الذي مات، ومن الذي نجا، وإلى أين سنمضي؟.

(كونراد الموهيفان) بطل كتاب (شيطان في الجنة) لهنري ميللر يبدو مثل هندي أبيض له عينان شرقيتان ضيقتان وهو يعتقد أنه آخر رجل من سلالة هنود (الموهيفان)، إنه رجل مقتلع من قارة مفقودة وقد اكتسب هذا الشحوب لطول ما أمضى الأيام في المكتبة الوطنية ينقّب في الكتب ويدرّس الكتابات والرموز السريّة.

يمتاز (موريكاند) بمشية بطيئة فهو يسير كالشخص المسرنم، رجل وقع في فخ الماضي ولم يعد قادراً على السير في الحاضر لأنه مثقل بالذكريات التي تكاد تسحقه تحت وطأتها.

ولا يستخلص (موريكاند) ولا ينتج من بحوثه وحساباته سوى سم الفواجع.. إنه لا يرى غير جنون العالم وهذا الانغماس العالمي في المأساة..

والحياة بالنسبة (لموريكاند) أشبه بظاهرة تبلور ثانوية - أو عرضية ظهرت على سطح هذا الكوكب وكنتيجة لهذا يبدو البشر كائنات بلا كثافة.. إنّه يستطيع رؤية وميضهم ويتحدّث عن حدّة أو خفوت الضوء في داخلهم..

Twitter: @ketab_n

لقد مُنح العالم قبل كل شيء

هذا المظهر الأسطوري الأنيق..

يمتلك (موريكاند) درعاً أرستقراطياً، درعاً منيعاً يحول بينه وبين إظهار الشكوى أو التظلّم أو التراخي أو الانفلات، سواء على المستوى الجسدي أو الروحي.. هذا الدرع الاستثنائي هو الخصلة الوحيدة المتبقيّة لديه من عالم النبالة..

يعيش (موريكاند) الآن على قمّة تلّة تطلّ على باريس قرب (الساكركير) تحت سقف منخفض منحدر لغرفة فندق صغيرة جداً حيث نهايات السطح المائل تلامس أرض الغرفة وراء سريره، ولهذه الغرفة مظهر صومعة رهبنة متقشّفة..

غلف موريكاند كتبه بالسلوفان وبدت ورقة النشاف الموضوعة فوق منضدته نظيفة خالية من البقع.. وعلى الجدران علقت نماذج لرسومات الأبراج تمتاز بدقّة رياضية وقد رسمت الخطوط الخارجية للكواكب بالأزرق والأحمر والأسود، وهي تتقاطع مع خطوط منازل القمر.. ورسمت خطوط اقتران الكواكب باللون الأزرق..

من هذه الغرفة يراقب موريكاند، ويطل على حيواتنا ويقدم لنا نبوءاته.. كلّ ما يحتاجه ساعة وتاريخ ومكان الولادة وبعدها يختفي بضعة أيام في معمله الروحي ولا تراه إلاّ عندما تنبئه الأفلاك نبوءة دقيقة حسب ادعاءاته..

هل كان يعرف حقاً متى يحلّ بنا المرض ومتى يجتاحني الجنون؟..

أتراه يعرف حقاً متى سنحب أو متى نتواصل أو ننفصل؟..

يعتقد موريكاند أنّه يعرف كل هذا.. فهو يتحدّث تارة مثل طفل، وأخرى مثل مهووس شاذ، وثالثة مثل مدمن. وفي حالات أخرى نراه مصاباً بالفصام لكنّه إضافة لهوسه بالتنجيم كان شاعراً مهماً قبل أي شيء آخر..

Twitter: @ketab_n

نبوءاته عبارة عن قصائد، وهو يمتلك قدرة طبيعية للوصول إلى درجة الاختفاء والتلاشي - فلديه عوالم تحت أرضية خفية.. وما شرحه لنا باعتباره (نبتونياً) منتمياً لكوكب نبتون يتعذّر عليَّ إيجاد الكلمات له.. حالة من اللاوعي والتحوّلات والنبؤات والأوهام.

***

أنا بحاجة إلى حالة من الانضباط والتحرّر من الانفعال، سأنغمر في العمل، والشؤون المنزلية والكتابة واستنساخ اليوميات، بينما سيجلس الآخرون في المقاهي يعانون من العصاب والحصر والمخاوف والتلاشي. لقد هجر الجميع: العمل والحب والحياة.

- الأفكار عنصر انفصال، أما الحب فإنّه وسيلتنا للارتباط مع الآخرين. العوالم الذهنية ليست أكثر من عزلات.. الحب يجعل المرء في عناق مع كل أجناس البشر.. مع العالم بأجمعه. وبالتالي مع كل أشكال الإبداع.

إنّ المبدع يبحث حقاً عن لغة عالمية. ولذلك يفهم المبدعون من شتّى أنحاء الأرض بعضهم..

هاجم (غونزالو) كتاب هنري ميللر (مدار السرطان) وودّ لو يشعل النار فيه.. قال:

- كل هذا القبح موجود فيه.. في رأسه في عقله..

قلت له: لكن القبح له شخوصه يا غونزالو.. إنّه كأعمال (جورج غروتز) وشخصياته، وأعمال (فرانسيسكو غويا).

كلنا مثخنون بالشروخ والازدواجات والتناقضات. (غونزالو) نفسه كان يرسم الفانيات مثلما كان هنري يقوم بالكتابة عنهن ويصفهن في كتابه.

هناك لمحات من سوء الفهم فينا جميعاً، وهناك شرارات من الصفاء

Twitter: @ketab_n

والوضوح وفينا جميعاً بعض النقاط العمياء.. أما نقطة (غونزالو) العمياء فهي فكرته عن الإبداع..

- الفن ما هو إلاّ برج عاجي. ولكن عندما يجعلنا الفن قادرين على تحمّل هذا العالم، عندئذٍ تبدأ مسؤولية المبدع.. وعليه أن يتحمّلها كاملة..

- غونزالو أنت تريدني أن أهجر عالمي الإبداعي الذي يعني لي قوّة الفعل. إن صراعك القائم ما بين نزعتك الفردية وحياتك التي اخترتها لا يحلّ المعضلة.. أنت متردّد إزاء الفعل..

- أخبرتك بأمانة - أنا يبس - أنا أجهل ما يجب فعله.. فلديّ إحساس عال بالمسؤولية إزاءك باعتبارك مبدعة، وإزاء عملك..

نعم أنا أشعر بالحرج لمحاولتي انتزاعك من عالمك الإبداعي لألقي بك في الفوضى والعماء؛ بغية أن تؤسّسي لنفسك عالماً جديداً.

أحسّ أحياناً بأنني يجب أن أقدّم لك الخدمات لأنّك تؤدّين عملاً مهمّاً.. وعليّ أن أساعدك..

- يبدو لي أنّ نقطة الخلاف تكمن في: ما الذي سأجنيه من صنع عالم جديد؟.

أنا أستطيع معرفة كم أنت نافع لما تريده.. فأنت شخص قوي عركته التجربة الماركسية وبوسعك التحدّث إلى العمّال وهم يصغون إليك بمحبة، ولكن ما الذي أستطيع أن أفعله أنا؟

أدرك غونزالو أنّ إيماني قد استيقظ، وأنني أتصرّف بطريقة مناسبة ولا أريد أن أسترخي وأكتب الكتب وحسب.

جلسنا في مقهى (دنفرت روشيرو)، احتسينا القهوة واشترينا الصحف: دماء، مجازر، دماء، رعب، عنف، قتل، اغتيالات..

Twitter: @ketab_n

الناس يُحرقون بصب النفط عليهم في إسبانيا، وتبقر البطون برسم علامة الصليب عليها. وتجلد الراهبات عرايا، السوريواليون الفرنسيون ذهبوا إلى اسبانيا للاشتراك في القتال.

انسحب (غونزالو) في الساعة الثالثة وجلس يرسم في (كولاروسيس). هاتفته، رأيته يعمل، ليريني الجانب الرصين في شخصيته، بعد دقيقة سيكون ثملاً وهو يطلق الضحكات في مقهى (الدوم).

***

يا مذكراتي!.. أنت وحدك تعرفين، أنّني أعلن فيك مخاوفي وهشاشتي وتظلماتي وخيباتي، وأشعر أن ليس بإمكاني الوقوف بعيداً، فالآخرون يعتمدون عليّ.. إنني هنا أريح رأسي وأبكي، أبكي..

طلب إليّ (هنري) أن أساعده في عمله و(غونزالو) يرجوني أن أشارك في الثورة..

وأنا أعيش فترة من الخيبات والأوهام..

يكتب (هنري) الآن (مدار الجدي) التي أراها وصفاً هائلاً للاستفراغ والتصدّع والانحلال والفساد.. إنه يستخدم الرمز ويعيد تقديم أوبئة الإنسان المعاصر.. إنّه يتّفق مع اضطراب العالم والمدن والشوارع:

إن عقلية هذا الكتاب مشاعة: فقدان النفس. كلا.. لن أخسر نفسي، يبدو أن إحباطه أشدّ خطراً عليّ من إحباطاتي ذاتها.. عندما أعبر من حياة إلى أخرى، من حياة إلى حيوات متعدّدة، إنها حياة مبدّدة.. لكنّها لم تتعرّض للانحلال والتلاشي رغم أنني أحاذي الانحلال كل لحظة.

يغني (غونزالو) بصوت رخيم عند مائدة المقهى:

(إسبانيا أنت تموتين دون أن تعرفي أنني أتمسّك بحبك..)

Twitter: @ketab_n

كان (روجر كلاين) في إسبانيا، عاد ليلة أمس، جلسنا في غرفته وتحدثنا. كان غونزالو قد سرق فانوساً مركباً يشع بلهب زيتي أصفر.

تحدث روجر عن إسبانيا - كان الحديث مروّعاً.. ذهبت إلى غرفة حمامه وانفجرت ببكاء هستيري.. لم يبقَ روجر طويلاً معنا، كان عليه أن يعود إلى إسبانيا ليأتي بزوجته الإسبانية الشابة التي تزوّجها بعد أن أبقتها الحرب وحيدة. أراد أن يتركها في رعاية أحد ما هنا لكنها رفضت ذلك وأصرّت على العودة معه إلى إسبانيا.

يقول الصينيون: المستقبل ظلٌّ للماضي فحسب، هناك ظل يمتد على طريقي وهو تكرار للحظة التي طولبت فيها بالتخلي عن حياتي:

(من أجل أبي مرّة، ومن أجل أمي، وأخوتي وعمل هنري، وعمل د. رانك وإسبانيا).

وفي كلّ مرّة أتخلّى تخلّياً تاماً أتخلّى وأتخلّى بكل هذا الإيثار إلى أن أدركت أن هذا الموضوع قد ناله التلف...

- أنا، ككاتبة أم كامرأة؟

لست أدري.. ثم أرغمت على التوقّف..

أشعر أن عليّ أن أمتلك إنجازاً ما.. قدراً لأنجزه.. ولكن، كما حدث مع (مارسيل بروست) لم أكن أدرك تماماً ما هو الأهم الذي أقوم به.. كلا الجاذبين المؤثرين موجودان. الإيثار وحب العمل..

يهاجم (غونزالو) عالمي الذي أحيا فيه، وكان هنري قد حطّم فضائلي البورجوازية وها هو غونزالو يسعى لتدمير عالمي الإبداعي..

والآن..؟ ماذا حقّق غونزالو لحياته وهو يدعو ويبشّر بالماركسية؟..

Twitter: @ketab_n

كيف له أن يحيا خارج ماركسيته؟

لا أنكر أنّه قاوم إدمانه وابتعد عن رفاقه المدمنين..

كم يحسّ (غونزالو) بالانجراح عندما أوازن بينه وبين حياته وأتصدّى لتفاصيلها..

يقول: بهذه القسوة ستخلقين مني مبدعاً. لكنّني لا أريد أن أتصرّف إزاءه بمثل هذه القسوة، فإذا كان هذا الأمر مبارزة أخرى مع الخراب أو مباراة مع الدمار فإنّني أريدهما معاً..

يقول غونزالو: أريد أن تمتلكي الوعي الطبقي..

لقد حاولت طوال حياتي أن أمحو المراتب الطبقية، ولا أعترف بغير الخصائص العقلية أو الصفات الشعورية والشجاعة والموهبة.. قلت له: إنني أؤمن بالشعر وحده، أريد أن أحيا فيما وراء (الزمنيّ) والمؤقت.. خارج تنظيمات هذا العالم..

- ما عدا صوفية ماركس..

- ليس للماركسية صوفية أو أسرار

- أنت لا تملكين عقيدة صوفية..

- الفن عقيدتي..

- يبدو أننا نتحاور باللغة الصينية..

ننتهي دوماً إلى قول هذا عندما يصبح الجدل عقيماً..

- نعم.. أنت تتحدث بالصينية، نحن نتحدث الصينية، أنت وأنا نتحدّث بالصينية.. وكل شيء صيني ولا معنى له..

Twitter: @ketab_n

كنا نجلس على المصطبة، ونتظر إلى ظلال الأغصان.. أخبرته عمّا يقوله الصينيون عن المستقبل..

كان (غونزالو) يهزأ برحلة (جان كوكتو) حول العالم، فلا معنى لأن يكتب المرء عن اليونان ومصر والهند والصين بينما إسبانيا في المحرقة..

أخذني غونزالو لزيارة قرية جاممي النفايات حيث يعيشون وراء إحدى بوابات باريس قرب الفجر، في مدى شاسع من الأرض الجرداء ويقيمون في أكواخ الصفيح وألواح الخشب وأوراق الصحف - أما الفجر فكانوا يعيشون في عرباتهم ذات الألوان المثيرة..

بعد أن يجمع جامعو القمامة علب الفضلات ويملأون أكياس "الجوت" بالبقايا والنفايات يأتون إلى هنا لفرزها ويُرتبون بضاعتهم ليأخذوها إلى (سوق المنبوذات "فلي ماركت"). ثمة ممرّات ضيقة لا تتجاوز ياردة واحدة بين أكواخهم تحدّدها أسيجة على جانبيها من خشب أسود متعفّن مسروق من السكك الحديدية.

أكواخ مزعزعة مائلة مشرعة للبرد والريح.. النساء والرجال يعيشون وسط الوحول وينامون على أكوام النفايات، أما الأطفال فإنّهم ينامون على أكياس البطاطا، وكل ما تلفظه المدينة من أشياء يجمع هنا في أكداس، الخرق، الدمى المحطّمة، الأنابيب المكسورة.. أشياء لا لون ولا شكل لها. حتاتات، كسر أثاث، بقايا ثياب..

النساء يرضعن أطفالهن من أثداء ذاوية والصغار يجلبون الماء من النافورة في دلاء مثقوبة وعندما يصلون الكوخ يكون الدلو فارغاً تقريباً..

بين الأكواخ كانت عربات الفجر تحتشد بالعائلات الكبيرة.

وبين هذا كلّه كان ثمّة بيت جميل باللونين الأحمر والأسود، بيت كبيوت

Twitter: @ketab_n

الدمى، مع حديقة مصغّرة مسوّرة بسياج.. وفي الحديقة تنمو أزهار عبّاد الشمس العملاقة وتزدحم الحديقة باليمام وأقفاص العصافير والحمائم..

كان هذا هو بيت (دجانغو) عازف الغيتار الذي يعرفه غونزالو حق المعرفة..

كان يعزف بأسلوب رائع بيديه اللتين عوّقتهما نار الحريق..

كان غونزالو قد أمضى ليلة معه يتحدّث ويأكل مع الفجر..

حرّكنا مجموعة من الأجراس ولكن لم نتلقَ جواباً..

وراء البيت توقّفت عربة غجر تخص (دجانغو). وجدناه هناك.. كان يعزف على غيتاره..

العربة حمراء من الخارج ولها سقف برتقالي من الداخل وجدران من الجلد تبدو كجدران فرقاطة حربية قديمة.

كان فراش (دجانغو) معلّقاً في نهاية العربة مثل سرير في باخرة.. وللعربة نوافذ عربية الطراز صغيرة..

لم يستطع غونزالو الوقوف في العربة بسبب طوله فجلس على الأرضية. كان داخل العربة مظلماً تماماً ولم أبصر وجه (دجانغو) إلاّ بصعوبة.

كان مصباح زيتي يتوهّج في الزاوية تحجبه مظلّة مصابيح حمراء تتدلّى منها شرابات مذهّبة..

غطّى أحد الغجر كوخه بقواقع البحر وأصدافه، أحدهم يملك عربة خضراء من خارجها بينما غلّف داخلها بجلود قرطبية فاخرة. العتمة، الجلد ذو الاحمرار الدموي، الرثاثة، السطح المزوّق بلمسات نقوش يدويّة جميلة: كان كل ذلك رائعاً ومثيراً للمشاعر... تتدلّى من الستائر شراريب مذهّبة.

يمتلك الغجر عيوناً شرسة متوحّشة قاتمة، ولهم أكفّ بيضاء رقيقة

Twitter: @ketab_n

معتنى بأظافرها على نحو جيد.. لم يكن الرجل الغجري يمارس أي عمل، فالنساء يتكفلن بكل الأعمال: المقايضة وأعمال الخداع والاحتيال والسرقة..

أمّا الرجال فإنّهم يعزفون على قيثاراتهم أو يجلسون في المقاهي..

أردنا أنا وغونزالو أن نشتري عربة غجر.. تحدّثنا مع الغجري بشأنها فقال:

- العربة التي تريدانها للبيع، مشغولة الآن من قبل (موتايل دي غوير) الذي لا يملك ذراعين ولا ساقين.. ولا اريد أن أطرده من أجل أي شخص كان.. حتى من أجلك أنت (غونزالو).

ذهبنا لزيارة الرجل الذي بلا يدين ولا ساقين.

كانت العربة مزوّدة بستائر حمراء وليس فيها أسرّة للنوم.. ثمّة بعض الحصُر التي تطوى خلال النهار. كان يوم غسيل، وكانت التنورات المتعدّدة الطبقات وقمصان النساء الداخلية معلّقة على حبل سلكي وهي تتراقص في الريح. حمراء صفراء بيضاء برتقالية أرجوانية وزرقاء..

كانت إحدى الغجريات تمشّط شعرها الأسود الطويل، وقد رمقت غونزالو بنظرة واعدة.. فغمغم لي:

- لو أنّني استجبت لها لتلقيت طعنة سكين وراء عنقي على التو..

كانت سلع جامعي القمامة قد تناثرت على الأرض. كل ما يمكن تخيّله من مواد بدءاً بالدبابيس حتى إطارات السيارات وأقفاص الطيور والاسطوانات المكسورة.

قلت: أستطيع أن أكتب هنا.. قال غونزالو: وأنا أرسم..

لبثنا حتى حلّ الظلام - تفرّجنا على مصابيح الزيت وهم يوقدونها والطعام يطهى على نيران حطب في العراء.. نتفرّج على بعض العربات وهي

Twitter: @ketab_n

تتأهّب للرحيل، والعرّافات يحصين إيرادهن.. رأينا الأطفال يلعبون بالألعاب المحطّمة ومزق الأقمشة..

قال غونزالو: في (بيرو) يعالجون الجنون بوضع الشخص المجنون أمام نهر شديد الجريان والرجل يلقي بالحجارة فيه وبعدها تستفيق مشاعره ويشفى..

لهذا أحدّق بتدفّق نهر السين، لكنّ الجنون يستمر، إني أسمع الناس يصرخون:

- إلى المقصلة.. إلى المقصلة،

شاهدت من نافذة القطار وأنا ذاهبة إلى مأدبة فاخرة الأشجار وقد انقلبت جذورها إلى الأعلى وانغرست رؤوسها في الأرض: الجذور تشير إليّ.. في الفراغ

رؤيا حرب..

(دنيس كلاريون).. لا يبدو أنّ وجهها الكلاسيكي يناسب جسمها النحيل الصغير.. إنّه يمنحها صورة رأس إغريقي وضع على جسد طفل قصير بدين.. يطوف في وجهها تعبير من البراءة والاستبصار، نوع من صراحة حقّة، غير معهودة في امرأة فرنسية..

كان شيء غامض يشبه التعصّب توحي به هيأتها فلا يظهر أي انفعال على وجهها أو في عينيها الشاسعتين.

كانت (دنيس) تعيش في شقّة جميلة عتيقة الطراز قرب ساحة (الايتوال). شقّة مريحة ذات سقوف. مرتفعة ومدافئ حطب وتحف وطرف كثيرة، فضيات وبلوريات، ذهب ومطرزات، أخشاب نفيسة، وعدد هائل من الكتب..

Twitter: @ketab_n

وتجلس أمها مثل ملكة على مقعد أسود مرتفع. دنيس تريد لمذكراتي أن تنشر كاملة..

قالت: إنها عمل (بروستي) يخلو من الخطب أو البحوث.. عمل متحرّر من النزعة الأدبية لا يبعث على الملل الذي تثيره المخطوطات في العادة..

كانت (دنيس كلاريون) قد عملت في المقاومة أثناء الحرب وقبض عليها (الجستابو) وعذبت حتى أشرفت على الموت، وقد أنشأ الادباء (منحة) على شرفها تحمل اسمها..

قال لي (موريكاند): أنت تمتلكين نوعاً من النعمة، الهبة الإلهية التي تناسب حكايات الجنيات الطيبات.. أنت تجعلين حكايات الجن ممكنة التحقق.

كان يفهمني ويفهم الموجة الهائلة التي تكتنف حياتي.

في الليل، أمام نافذتي..

العمّال يستلقون، أرى مسجداً من (تومبكتو) وقصوراً جزائرية وباغودات صينية، وقلعة في صحراء مغربية.

يقع منزلي في (كواي دي باسيه) عند طرف حي أرستقراطي قرب الجسر الذي يؤدي إلى الجانب الأيسر من باريس: إلى (مونبارناس) حيث يقيم (غونزالو) وإلى (دنيفر روشيرو) حيث يعيش هنري.. وكان المترو ينقلنا تحت النهر جيئة وذهاباً.. الفقراء والأغنياء معاً في كل حين.

وكان (غونزالو) يقف على الجسر بعد أن يغادرني في معظم الليالي وينظر إلى نافذتي وينتظر أن أطفئ أنوار غرفتي.

كانت النافذة الواسعة لغرفة المعيشة مشرّعة أمامي باتجاه الشرفة، رأيت الأضواء تنعكس على مياه (السين) وبرج (إيفل) المضاء. القمر أحمر..

Twitter: @ketab_n

وعبر النهر كان الشيوعيون يتجمّعون لسماع السيدة (باسيوناريا) الشيوعية الإسبانية.

(غونزالو) كان هناك.. وبعد برهة سيأتي ويمسك بي، يريدني أن أحضر التجمّع.. كان قلبي منقبضاً.. سمعتهم يغنّون قبل ساعة عندما مرّوا من هنا ومرّت سيارات الأجرة محمّلة بأعداد غفيرة من أناس يغنّون ويلوّحون بالرايات الحمر..

حاولت أن أفهم.. فذهبت إلى تجمّع الشيوعيين.

استمعت إلى (لاباسيوناريا)، استمعت إلى (أندريه مالرو).. جلست في الصف الأول.

هي: بوجهها المتألّق وصوتها المفعم بالقوّة..

هو: بتوتره العصبي، طراز آخر من الانفعال.

انهمر شعره فوق عينيه.. كان يتفصد عرقاً.. الحشد يغنّي بصوت واحد.. وروح واحدة، يصرخ ويوقع بأقدامه ويصفّق.. حاولت أن استجيب ولكنّني لم أنجح.. إنّه العنف والغضب.

قرأت في (الكابالا) عن النظرة الزجاجية، جميع أشكال التحوّلات.. لا يهم أيّها هي التي أدّت إلى مثل هذا التأثير السحري للتوحّد..

الجميع انجذبوا معاً وانصهروا وتداخلوا مع بعضهم.. وأصبحوا قابلين للانسحار وبلوغ النشوة الغامرة.. النشوة هي لحظة من الإحساس الطاغي غير السوي بالقوة والأهمية. نوع من الإحساس بالكمال..

إنني مثل البلّورة التي يجد فيها الناس انسجامهم السرّي. ولأنّني بسبب من استحواذ الجوهر عليّ وعدم اهتمامي بالتفاصيل والتعارضات والتفاهات والأمور العرضية والتظاهر والتخفّي وراء الأقنعة، يصبح التحديق بي مثل التحديق بالبلّورة السحرية.. إنهم يرون قدرهم وذواتهم الخفيّة وأسرارهم..

Twitter: @ketab_n

أنا لا أستجيب للأحاديث الصغيرة.. إنني صامتة. أحذف الكثير. وأستدير بعيداً.. وأندمج دوماً في جوهر الناس أتأمّلهم وأنتشي عندما أنصت لحديث القلب.. وتحدث الاعجوبة التي أتوقعها دوماً: أعجوبة الكشف والوضوح..

ترى هل ستنجز هذه التجمعات من أجل (الجمهوريين الأسبان) نوعاً آخر من الوحدة؟.. أم تراها ستكون ذات نفع للإيمان بالثورة والتغيير؟..

التطوّع للقتل من أجلها:؟ أم أنّه إبادة أولئك الذين لا يؤمنون بها...

الكلمات التي كانوا يطلقونها على نحو غريب، كانت بالنسبة لي نوعاً من هراء. كليشيهات، ابتذالات.. كل شيء إلا تزييف المشاعر..

يفتح الليل والنهار عيني على رغبة اعتيادية للغناء والرقص دون أن أعرف لماذا.. ولكن هناك الآن الأضواء المتراقصة المنعكسة من النهر على سقف غرفتي وجدرانها وسريري.. إنها تكسرات ضوء الشمس على نهر السين..

حضرت (جانين) عند الفطور مع الصحف والبريد رسائل من (الأولاد):

- سأقدم حفلاً موسيقياً الآن

- أنا أعمل في كتابي

- أنا وحيد

- ليس لدي أصدقاء.

- لا تتخلّي عني.

- لقد تزوجت.

Twitter: @ketab_n

- شكراً لك.

- سوف لن أدمّر هذا الزمن..

- أتمنّى أن اكون في غرفتك الصغيرة في الفندق وأتحدّث إليك..

- لقد حرّرتني..

- أحسّ بأنني أقوى من ذي قبل...)

أشعر أنّني أحبّهم بنوع من التجرّد، ليس لديّ أي ارتباط بشخص منهم.. أحب لحظة المعجزة.. البرهة التي يسير فيها (ساشا) وهو ينتحب في الشارع الخامس في (نيويورك) من أجل الكشف عن معنى لحياته..

(دوري) تبكي إزاء تحرّرها من كوابيسها،

(إميلي) تقع راكعة على ركبتيها لأنها تتشبث بالإيمان..

لأجل أن نستبقي (موريكاند) على قيد الحياة اشترينا جميعنا كتاب (الطالع) وحدّثت (دنيس كلاريون) عن (موريكاند).

علق التراب بقدمي عندما وصلت إلى (فيلا سورا) حيث يعيش (هنري ميللر).

كان هنري في حُمّى الكتابة..

قال: أخشى أن اصاب بالجنون..

لقد توغّل في أسلوب جديد لاستخدام اللغة. مضى في الدوّامة وقلب العوالم لكي يهبها نكهة (برودواي) التي يشعر أنّه فقدها إلى الأبد. كان مشوشاً ومستوحداً..

قال: النساء لا يحببن كتبي كما تظنين.. أنت مخطئة في هذا..

Twitter: @ketab_n

نعم إنّها الحقيقة، فالنساء يرفضن أن يكن مجرّدات من الشاعرية.. وأن يظهرن على الطبيعة، وأن نعاملهن بلا رومانسية وكأنهن موضوعات جنسية خالصة.. ظننت أنهن يردن ذلك.. وأنهن ضجرن من النظرة المثالية..

لقد جاء (غونزالو)، هذا التروبادور القادم من القرون الوسطى ليعيد إليّ الحياة بعد أن أتلفني غياب الرومانسية عند هنري ميللر..

Twitter: @ketab_n

كانون الأول ١٩٣٧

أعادت لي المجلة مقالة استعرضت فيها كتاب (هنري) (ربيع أسود) لأن العرض يفتقر إلى تحليل المحتويات..

ليلة عيد الميلاد في (بايون دور)، (الكافيار والفودكا)، أغاني الفجر (السيغان) رقصات ملتهبة، طقوس رقص وعربدة مع أصدقاء روس..

الروس يحطّمون الأقداح على رؤوسهم ولا يتورّعون عن البكاء.. الساعة الخامسة صباحاً نخرج معهم إلى الشوارع، يقظة حقيقية..

تتوق هيلين إلى المشي. ذهبنا وتناولنا إفطارنا.. جلسنا في حانة (ميلودي)، كانت هناك أوركسترا من (الأرجنتين) ولم يبقَ في الحانة سوى بضع نساء زنجيات وقلّة من الرجال..

إنها السادسة والنصف صباحاً والفرقة الموسيقية تعزف موسيقى (باسو دوبل) إسبانية، أنهض وأرقص بمفردي، وبتشجيع من العازفين والنساء الزنجيات..

إنها السابعة صباحاً..

الفجر أزرق..

ثمّة إحساس دائم بأنّها آخر ليلة للفرح.. الليلة الأخيرة لاحتساء الفودكا والرقص والضحك.. وقريباً سوف تدوي المدافع وصفارات الإنذار ويبدأ القصف بالقنابل - الحرب والدم والرعب..

Twitter: @ketab_n

فكرة من الصين: إذا شئت أن تجعل غرفة تلميذ متقشّفة مقبولة الجمال، فأظهر السعة في المكان الضيّق والصغير، وأظهر الصغر في المكان الشاسع..

برهن على الواقع باللاواقع، وعلى اللاواقع بالواقع..

طريقة الرسم الصينية تسمّى (كنغ لنغ) أي: (الفراغ والحيوية)، إنها حيوية دفّاقة واقتصاد بليغ في التصميم..

***

كنا أنا وصديقتي (هيلين) نتحدث عن (هنري ميللر).

قلت: لقد ساعدني في تقبل الحياة وساعدته في تقبّل سلطة الخيال التي كفّ عن الإيمان بها لأنّ توهمات زوجته (جون) مؤسسة في فراغ..

خيالاتي إبداعية وحقيقية. لست خيالية منسجمة مع القواعد المألوفة. أنا خيالية بقوة حقيقية، القوّة التي تؤدي بالأشياء لأن تغدو واقعية. لقد وعدت هنري أن لا أدعه يخيب وينال منه الفشل، بل سأجعل العالم كلّه يصغي إليه.. وأنا مصمّمة على وعدي.. أكثر مما كنت أريد لنفسي أن تغدو أحلامي حقيقة.. لكنّي أضع في اعتباري ذلك اليوم الذي يتوق فيه المبدع لأشياء تخصّه وحده.. وتخصّ غاياته السحرية..

تساقط الشمع الأحمر على الأرض.. شمع أحمر من الشموع التي وضعت على الموائد ومن الفوانيس، شمع أحمر على المائدة.. قناني شمبانيا وفودكا فارغة..

في الليلة الماضية كنا حول المائدة أنا وغونزالو وزوجته هيلبا وإيلزا وغري وفتاة من جاوا والكاتب (اليخو كاربنتير) وزوجته وأمّه..

آمنت أن شيئاً سحرياً يجري عندما نظّفت الأثاث وصلّيت أن يستمتع

Twitter: @ketab_n

الآخرون بالأمر.. وعندما رتبت المائدة ظننت أنّ الآخرين سيسرّون به، عندما طهوت الطعام تمنيت أن يستمتع به الآخرون.. وأوقدت الشموع وقلت:

إمنحيهم المسرّة.. وعندما قدّمت لهم النبيذ قلت: استمتعوا به.. كانت ثمّة وهجات من البهجة في الجدران البرتقالية اللون.. واستمتع الضيوف مع بعضهم، استمتعوا بجمال غونزالو الداكن، وشعر هيلبا الأسود الطويل وبعيني إيلزا المنحرفتين إلى الأعلى.. وجسد (غري) الرشيق الراقص.. وبوجنتي الفتاة الجاوية وعظامهما البارزة.. استمتعوا بلحم الخنزير المحمّر وبفطائر اللوز الإسبانية.

عندما ينهمك (هنري) في الكتابة يكون في حالة افتراق عن الحياة، أمّا (غونزالو) فإنّه يواصل الحياة.. يقرأ قليلاً، وقد وطّد صداقة هائلة مع (انطونين آرتو) والأمر ذاته مع (بابلو نيرودا). عمل (غونزالو) مع (آرتو) في مسرحه، وعندما يتحدّث غونزالو (عنهم) فإن (هم) تعني الكائنات الإنسانية جمعاء..

وكل ما يسمعه ويحفظه هو خلاصة ما يعرضونه في أحاديثهم وأفعالهم، إنه لم يقرأ إلاّ القليل ممّا أكتبه، عالمه هو عالم شخصي وداخلي سرّي. كان هنري على انسجام حيوي مع (لورنس داريل) الشاعر الإنكليزي الذي يعيش في اليونان وكان (داريل) معجباً كل الإعجاب بـ(مدار السرطان) وقد أرسل مخطوطة (الكتاب الأسود) إلى هنري. كتبت له عن انطباعاتي حول كتابه (ربيع أسود) فأرسل لي بمناسبة عيد الميلاد قصّة كتبها وأهداها لي بعنوان (أسيلوم في الثلج)(*).

(*) أعيد نشر هذه القصة في مشنورات (سيركل) بيركلي كاليفورنيا في ١٩٤٧ خلواً من الإهداء مع قصة (زيرو - صفر) التي أهداها (لورنس داريل) إلى هنري ميللر.

Twitter: @ketab_n

كتبت له:

عزيزي (داريل)

لقد أتيت شيئاً مدهشاً في (أسيلوم في الثلج) ولامست عالماً ذي رقة بالغة البهاء، عالم زائل وصائر إلى العدم.. أمسكت بأجواء عابرة جداً حياة الأحلام مباشرة عن طريق المعاني بعيداً فيما وراء قانون الجاذبية، إنك تستخدم لغة سوريالية حافلة بالأصداء. عبارات سحرية.. أنت تكتب من أعماق الأسرار الغامضة لا من السطح الخارجي.. أنت تكتب وعيناك مغمضتان وأذناك موصدتان من الداخل اليقظ.. لقد قبضت على الخلاصة التي نلاحقها في الحلم، والتي طالما تملّصت منّا وراوغتنا. كتبت عن حدث عابر يضمحل ويتلاشى أثناء فعل الاستفاقة، رداً على هذه القصّة أرسل لك كتابي (بيت سفاح القربى) الذي أعتبره عطلة امرأة في الجحيم.

Twitter: @ketab_n

كانون الثاني ١٩٣٧

الآن: السياسة: ما الذي سأفعله لأجلها؟

هل وضع غونزالو اسمي في لائحة الذين يعملون من أجل الجمهورية الإسبانية؟.. نعم وهو فخور بذلك.. لقد انتزعني من تقاليدي. لقد أيقظني سياسياً. فليدوّن اسمي في اللائحة.. إن كنت قادرة على وضع قصيدة من أجل جامعي القمامة فإنني أستطيع كتابة قصيدة عن الثورة الإقتصادية..

سألني غونزالو إن كنت سأحضر الاجتماع مساء الخميس ..

أول اجتماع سياسي.. (كوميتي إيبيريان) للدفاع عن الجمهورية الإسبانية.

ستوديو واسع مضاء بمصباح واحد.. يصل الرجال: مكسيكيون بشعور سوداء طويلة، كوبيون شعراء، طلاب طب، طلاب قانون تشيليون، نيكاراغوايون..

أوقدت المدفأة، الليلة ضبابية لكننا استطعنا أن نرى شرطياً متأهباً عند أعلى السلالم..

أحدث ظهوره قلقاً لدى أولئك الذين لا يملكون أوراقاً قانونية..

كان نيرودا مضطرباً، مترهلاً، وشاحباً، كانوا يلقبونه (يوغرت) بسبب شحوب لونه.. كان غونزالو أضخم جسدياً وأشدّ انفعالاً ودفئاً بسبب لونه وهو يتحدّث بصوته العميق الهامس، الآخرون باهتون مملّون، عاديون..

Twitter: @ketab_n

كانت الموضوعة السائدة: كيف نستفيد ونوظّف موت الشاعر المكسيكي الذي قتل في إسبانيا.

سوف تُكتب كرّاسات تضم بعض أشعاره وتُطبع، كم من النقود نملك في الصندوق؟.. أربعون فرنكاً.. كيف نحصل على المال؟.. وفرك (نيرودا) يديه البيضاوين الناعمتين، يدي السياسي.. بدا (غونزالو) مثل من يوشك على تفجير قنبلة، شعره وحشي..

في المقهى.. وبعد أن غادر الجميع قال لي (غونزالو)

- أعرف أن مشكلاتك حتى هذه اللحظة هي الموضوعات الإبداعية الخالصة وكيف تعتنين بالقلّة من الأصدقاء المحيطين بك.. أدرك أنني بهذا وضعتك في مجال مختلف كل الاختلاف.. والآن لا أستطيع إلا أن ارى ذلك مفيداً لك.. ذلك أنك امرأة فيّاضة بالحياة أكثر ممّا يجب لامرأة تحيا في أبراج عاجية.. ولا أملك إلا أن ارى المبدعة تتحرّك ولا تقف معزولة...

عندما كان يتحدّث عن دور المبدع في عالم متغيّر، سألته بتهذيب شديد:

- ولكن لأي نفع ترجوني؟، إنني فكرت بتغيير العالم.. وإلغاء البؤس عندما كنت في الخامسة عشرة والسادسة عشرة من عمري.. وأدركت فيما بعد عدم جدوى ذلك وعملت بإصرار على بناء عالم فردي مطلق.. هذا ما فعلته..

- نعم، ولكن ثمّة لحظة ستجيئ عندما ينهار هذا العالم المطلق بما سيحدث في العالم الأكبر.. الآن أنت لا تستطيعين المضي خطوة إلى الأمام، فأنت محاصرة، ولن تنشر أعمالك لأنها تنتهك الفكر البورجوازي.. لا يمكنك عيش حياتك الخاصة لأن كثيراً من الناس يعتمدون عليك..

ذلك حق.. فعند نقطة محددة يرتطم عالمي الفردي بجدار الواقع

Twitter: @ketab_n

فأجابه الكوارث الخارجية. الحروب، الثورات، الانهيارات الإقتصادية، السقوط، ولن يكون عندئذ بوسعي حماية عالمي ومن يعتمد عليه..

لقد أنشأت عالماً ثرياً خاصاً، ولكن أخشى أن لا أستطيع إقامة عالم خارجي.. في العمق.. لأنني أؤمن بأن لا شيء بوسعه تغيير الطبيعة الإنسانية.. أعرف جيداً أن الإنسان يستطيع تغيير نفسه سايكولوجياً، وهذا الرعب والجشع يجعلانه لاإنسانياً.. وهذا تغيير في الأدوار التي نحصل عليها من الثورات. تغيير الرجال في السلطة.. هذا كل شيء.. والشر سيبقى.. إنه لإثم ورعب مفزع وعجز ذلك الذي يجعل الرجال قساة، وليس من نظام يستطيع الحدّ من هذا الرعب..

لكن (غونزالو) كان مخلصاً، وأردت أن أصدّقه..

غونزالو يرتّب لقاءً مع (أندريه جيد) و(أندريه مالرو). ليلة الأمس زارني آل (كاربنتيه) و(ستيوارت غيلبرت) و(هيلين) و(موريكاند).. بدأ الأصدقاء لقاء أسموه (حضارة) لمقاومة الوحشية والدموية التي تجتاح هذا العصر..

قرأنا بيانهم، كان مدرسياً - غنائيّاً - نبيلاً، أي تناقض.. وعدت أن أكتب عرضاً صحفيّاً عن البيان.. العمل من أجل (الباسيفيك) والعمل من أجل (إسبانيا).

أنا أؤمن بانفصال الفلسفة عن العنف.. الوحشية، الدمار، وأؤمن أيضاً بالأفعال والتمرّد..

الدم.. طوفان من الدم في إسبانيا..

تلقّى (غونزالو) الدعم من الروابط الإسبانية يزوّدونه بالمال والأختام والورق والمواد الطباعية.. كتب غونزالو أوّل بيان. كان سعيداً وأنا أوجّه الأسئلة، وأصغي..

Twitter: @ketab_n

- لقد قتل العالم الرأسمالي الكائن المبدع في داخلي...

إنه يرى كلّ ما يأتي من داخلنا موجّهاً من خارجنا إلينا...

قال (غونزالو):

- الإكوادور وبيرو أقرب إلى القمر.. وهما مرتفعتان عند بحيرة (تيتكاكا) أربعة عشر ألف قدم.. ونبقى الأقرب إلى القمر.. القمر هناك هائل الحجم.. إنه يرعب الرجل الأبيض.. إنه يبزغ مع هالة دموية حمراء.. محتلاً نصف السماء.. فيصطبغ كل شيء باللون الأحمر.. هناك طائر نصيده مميّز بحياة ذات قوة غامضة فإنّه يواصل العيش حتى بعد أن تطلق عليه الرصاص ولا يموت. فينتزع الهنود واحدة من ريشه ويغرزون طرفها المدبّب في مكان معيّن خلف عنقه. وهناك طائر ذو منقار طويل جداً يتغذّى على الأدمغة التي يمتصّها من آذان الحيوانات النافقة.

Twitter: @ketab_n

صيف ١٩٣٧

كتب لي (لورنس داريل) رسالة حول روايتي اللتين أرسلتهما له (شتاء الخديعة) والأخرى التي عنونتها فيما بعد (سلم الحريق).

هذه أجزاء من رسالته:

اليوم.. عزيزتي أنابيس قرأت المخطوطتين، استمتعت كثيراً معك.. أية امرأة أنتِ؟ إنني أخشى الإلتقاء بك..

لقد قدّمت شخصية الأب في روايتك على نحو رائع وفاتن وكتبت عنه بدقّة عالية جديرة بالبقاء.

أما صورة الفتاة الصغيرة فقد هزّتني تماماً..

الآخر - كما يخيّل إليّ - متّسع في مداه لهذا يفتقر إلى الموضوعية..

لقد أصبحت (غورغونة) أنثى، (غورغونة) حقيقية ذات رأسين.

وجدت أنك تكلّفت في إظهار الشخصيات مستغرقة في عالم حسّي أو في حالة إنسانية خارقة.. جعلت من الشخصيات شيئاً أسطورياً.. كما هي في أسطوريتها ضمن عالمك..

بكيت قليلاً، لأن هذا هو الكتاب الأوّل في أوروبا الذي ينتمي إلى كاتبة (أنثى) مبدعة.. إنه لأمر يبعث على المرارة..

أنا لا أكترث كثيراً بتفاعل الشخصيات، بل أفكّر طوال الوقت: كيف هي الأنثى، وكيف هي الموهبة عموماً..

Twitter: @ketab_n

بصراحة كاملة.. أنا لا أستوعب الموضوع..

ولهذا أجد الشنق أشدّ سوءاً من الرجل بالنسبة للمرأة لأنّ عالمها يُدار على نحو أساسي من خلال الرجل. على أيّة حال، إن الاستقلال الأوّلي للمرأة لا يتعارض مع الإنسانية لكن التعارض هو هذا البتر مع الذكر بينما الأمر يبدو بالنسبة لي مختلفاً.. فلعلّ المرأة تمتلك تجربة أكبر في (الانكماش) والتغيّرات الارتدادية، ربما أن هذه الحساسية البيولوجية العصبية العميقة لدى المرأة أشد أذىً لها من انقطاع الحيض (هذا من سقط الكلام).. لكن المشهد يصبح أكثر إيذاءً، أشد إيلاماً عندما تغتصب دور الزعامة..

على أيّة حال أنا أجد الأمر كذلك.. وأتمنى أن يكون هناك المزيد من هذه اللمسات الخبيثة والمطمئنة.

عندما تثبتين ريشة في قبعتك ثم تسحبين وتر القوس سيكون الأمر مسلياً بالنسبة لي: لأن الذكور عموماً حسّاسون لمثل هذا النزوع إلى الأذى.. إن الرجل يحسّ بالطعنة قبل أن يكون جاهزاً للردّ عليها.

إنه يقف وفمه محشو بالخبز والبصل وهو يسحب خطاه الراقصة على الأرض..

إنني سعيد لأنني لم أُخلق (امرأة)، كيف تتحمّلين الأمر؟..

(إنّهم الآن ينادونني للاستحمام.. الجوّ حار..)

سوف أعيد لك المخطوطتين حالاً بعد أن انتهت (نانسي) من قراءتهما..

كنت قد التقيت برسّامة مدهشة تدعى (إيفا لانفتون) تحتفظ برأسها الصغير المضحك بمجموعة وحوش بشرية تتطاير حيّة مثل الرسام (برويغل) لكنّها تمتلك فيضاً من المشاعر أكثر مما كان لديه وكثيراً من نزعة الفن الأوتوماتيكي كما عند (كلي، وميرو، وجماعتهما) (...) وفي رسومها حيوية

Twitter: @ketab_n

دفاقة فتبدو شخوصها الصغيرة مرعبة على الكانفاس بألوانها الصادمة.

أتمنى أن أشتري (لوحة) من إبداعها. إنها تعرف (رايكل) وتقول إنه ثمل دائماً لكنها معجبة بأعماله.. عاشت في باريس عشر سنوات وتشمئز من الإنكليز، وهذه الميزة الأخيرة تكفي لجعلها فنانة حتى لو لم تكن تملك أي شيء آخر...".

Twitter: @ketab_n

آب ١٩٣٧

سرت إلى (ستوديو) (هنري) لأقابل (لورنس داريل) وزوجته نانسي.. ما أدهشني فيه لأول وهلة كانت عيناه ذاتيَ الزرقة المتوسطية.. كانتا حادّتين متوقدتين نبوئيتين، كان طفلاً في اهاب رجل عجوز.. قصيراً بملامح دقيقة كالهنود ليناً كالشرقيين يفيض صحة ومرحاً، مثل إله الرعاة، سبّاح وملّاح ماهر.. لزوجته نانسي عينان طويلتان منحرفتان. كان التواصل بيني وبين (داريل) فورياً - شعرت بالصداقة منذ النظرة الأولى مع حاجة ملهوفة للحديث..

Twitter: @ketab_n

آذار ١٩٣٨

(هتلر) يحتل النمسا، (فرانكو) يحاصر (برشلونة)، وفرنسا خائفة من الحرب..

جاء (غونزالو) إلى عوّامتي وقال:

- سوف أقتل نفسي إن اضطررت للعيش في عالم فاشيّ، سوف أموت مقابل أن أقتل عشرة من الفاشست. بينما كان العالم قد تحوّل إلى وحش وبدأ يقترف الجرائم وأنا لا حيلة لي في التصدّي لهذا.. كنت أرد على هذا الأمر بالإصرار على يقين: أنه ثمّة عالم خارجي أو تحت هذا العالم ثمّة عوالم أخرى، إنسانية وخلّاقة تكمن لتجابه السلطات المدمّرة اللاإنسانية.. لقد تعلّمت أن لا طريقة للمواجهة إلا هذه.

كان غونزالو مستعداً لقتل نفسه.. وقتل هيلبا وقتلي أيضاً لأننا لا نطيق العيش في عالم فاشي..

لم أكن أرتضي هذه الفانتازية وهذا الحل.. الانتحار؟

- ثم.. لماذا لا يذهب ويقاتل في إسبانيا؟

تذكرني (جين) بدوري.. (دورك) يقول (غونزالو) أدرك أن تستبقي رأسك عائماً فوق الماء لتنقذي الآخرين من الغرق ويجب أن تظلّي على الدوام نقية، وحيدة، وهكذا بوسعك أن تقودي.. أنت عاجزة عن أن تكوني مرتبكة أو متطابقة مع الفعل المنتقى، إن سطوتك تكمن لا في الفعل وإنما في القلق..

Twitter: @ketab_n

وهكذا كان عليّ أن أناضل لأجعل (غونزالو) يفهم أن حمله البندقية والإقدام على قتلنا جميعنا لن يخدم إسبانيا أو الثورة..

تركني جنونه المتفجّر في حالة من الارتعاش، إن ما يحدث مهول.. مرعب.. ولكن كيف يقاتل المرء مثل هذا الوحش المنفلت؟.

سويت خلافي مع غونزالو بعيداً عن عجزه وغضبه اللامجدي: ليس أكثر من حالة سكر يائسة ويأتي الموت..

قالت (جين): دورك هو التعبير عمّا لا يمكن التعبير عنه.. أنت سجينة الواقع دائماً، وتتشدين الرحابة في مديّات النشوة..

Twitter: @ketab_n

صيف ١٩٣٨

عشنا في الأسبوعين الأخيرين تحت طائلة التهديد بالحرب... قلق جماعي، رعب، عصيان، فزع، الناس يحملون متاعهم ويهربون، الناس يواجهون رعب معسكرات الاعتقال، الاحتجاز، والقصف بالقنابل.

توقف هنري عن تنقيح (مدار الجدي).. سقط مريضاً إزاء تمزّق حياته الفردية، أيام سود في أنحاء العالم.. الجموع تنتظر الأخبار أمام بنايات الصحف.. اضطراب وهستيريا.. عالمي الصغير الذي ابتدعته بات بلا حماية: الحب، الإنسانية، العمل، سوف تدمّرها الحرب كلها، سوف يدمّرها هتلر.

ذات صباح تسلمت إنذاراً من الشرطة النهرية بضرورة التحرّك بعوّامتي بعيداً عن (باريس). كل العوّامات يجب أن تغادر باريس..

استأجرت زورقاً ليسحب عوّامتي بعيداً في نهر (السين)، ما كان يخيفنا أنّ العوّامات ليست مهيّأة لأي نوع من الرحلات.. طلبت من غونزالو أن يكون معي ليساعدني في قيادة العوّامة..

تأخّر غونزالو.. الزورق الذي سيقطر العوّامة لا ينتظر وعليّ أن أبحر وحدي.. انهمر المطر.. لبثتُ على السطح أراقب عملية (القطر).. تذكرت حلمي عن الإبحار لمدّة عشرين سنة وجميع أصدقائي يقفون على الشاطئ ويسألونني عن وجهتي ومتى أعود.. أنا الآن أقوم بإبحار حقيقي وأغادر

Twitter: @ketab_n

المواقع الباريسية الأليفة بعيداً عن الشقق التي أقمت فيها، والشوارع التي استكشفتها..

صرنا خارج باريس، عبرنا تحت جسر ووصلنا الأحياء الصناعية، عبرنا تحت جسر آخر ووصلنا مرسى الزوارق.. حيث رقدت الزوارق القديمة والعبارات. مقبرة الزوارق.. نصحوني عندما عبرت أن أواصل حتى ضاحية (نويي)، هناك يمكن الرسو في (نويي). هل أبحر لأعود إلى مسقط رأسي..

إنّه النذير.. أبي أيضاً اتّجه إلى (نويي)، إنه يعيش هنا حيث ولدت..

Twitter: @ketab_n

تشرين الثاني ١٩٣٨

عندما أستعيد ذكريات أسبوع التهديد بالحرب وأنا متوقّفة عن تدوين اليوميات، أرى مقبرة. ذلك أن الحرب في الحقيقة لم تحدث.. ولكن مات عدد هائل من البشر.. ومات قدر هائل من العقائد.. وتمزّق بعنف نقاب الوهم الذي طالما جعل الحياة الإنسانية ممكنة الاحتمال..

رأيت غونزالو مستعداً للتضحية بكل التعلّقات الفردية من أجل الحرب، والموت باستمتاع كبير لأن الحرب سوف تجعل قيام الثورة ممكناً..

كان غونزالو يمتلك الشجاعة الجسدية ولكنّها الشجاعة المكرّسة للموت لا للحياة..

كان غونزالو محارباً من نسل (نانانكيبشو) الهنود. إنه يقف بين نوبات الجيَشان التي تحلّ به وبين إيمانه الطوباوي بعالم جديد.

Twitter: @ketab_n

ربيع ١٩٣٩

اللاجئون الإسبان يتسلّلون إلى فرنسا:

القانون صارم: من يؤوي أو يتستّر على أحد من المتسلّلين يتعرّض للعقوبة إما سجناً أو رمياً بالرصاص. أولئك الجرحى، المقاتلون، المرضى، الكلّ خائفون من تقديم العون للاجئين.

(وليم هيتر) أخفى عدداً منهم في (محترفه)، أنا وغونزالو مشّطنا باريس بحثاً عن غرف خالية أو شقق، (كارتيرث) لا يزال في جنوب فرنسا.. أخذت مفتاحه من أحد الأصدقاء وأخذ غونزالو اثنين من اللاجئين الفجر الإسبان إليه.. واصلنا البحث عن أمكنة وانشغلت بإعداد غالونات من الحساء الذي كنّا ننقله بأوعية صغيرة إلى (محترف) (هيتر). طلب مني غونزالو أن أخبئ (ماكنة الطباعة) في القبو، أمضيت ساعات في القنصلية الكوبية في محاولة إيجاد متعاطفين مع اللاجئين لمنحهم جوازات سفر إلى كوبا، وأقمت اتصالاً بين القنصلية وغونزالو.

آوى كل واحد لاجئاً واحداً على الأقل.. بعض اللاجئين كانوا في حالة مرضية متردّية، بعضهم مصاب بالزحار والجروح المتعفّنة، صديق لي أخذ بعضهم في سيّارته إلى الريف.. إنه شهر تراجيدي..

أمضينا المزيد من الوقت أنا وغونزالو وبذلنا المزيد من الجهد للعناية باللاجئين.

***

Twitter: @ketab_n

أنجز (هنري ميللر) دراسته عن (بلزاك).

أخذني هنري لرؤية بيت (بلزاك) في شارع (رينوار باسيه). نوع من منزل ريفي وسط المدينة تطلّ واجهته على شارع مزدحم، أما جانبه الخلفي فإنّه ينفتح على تلّة تنحدر نحو (السين).

تحوّل هذا البيت إلى متحف تشرف عليه امرأة شاحبة وشبحية تتحدّث همساً. هناك صورة شخصية (لبلزاك). لوحة كبيرة ترينا عنق الجزار والمينين الحالمتين.. وقد حفظت المخطوطات والكتب في خزانات كتب مغلقة بواجهات زجاجية.. سمح لنا بأن نرى الطبعات الأولى.. أحدها كان عن (نساء بلزاك)، نظرنا إلى لوحة (سيرافينتا) وقال هنري: إنها تشبهك.. أراد هنري أن يقدّم للمتحف دراسته عن بلزاك.. وعندما كنا ننظر إلى الصور والوثائق في الصناديق الزجاجية قال هنري:

- هل تعتقدين أن الناس سوف ينحنون ذات يوم ويتفحّصون مخطوطاتنا وصورنا أيضاً؟

أعطاني هنري كتاباً عن (بوذية الزن)..

يحاول هنري الآن أن يقتل الرجل الأناني في شخصه.. يقتل الأنا العليا..

ذهبنا لرؤية الأقنعة وثياب الرقص الآتية من جاوا وسومطرة، وحدّق بها هنري بيقظة ساحرة..

تحدّثنا عن الحرب، قال هنري:

- أحسّ أنّني مثل حيوان لا يريد أن يقع في الفخ.

Twitter: @ketab_n

صيف ١٩٣٩

في آب سافرنا جميعاً:

هنري إلى اليونان ليقيم مع (لورنس داريل)، أنا ذهبت إلى (سان تروبيز) مع (هيلبا) و(غونزالو). سانت تروبيز، فردوس، بشواطئها الرملية المحاطة بغابات الصنوبر.. حياة (تاهيتية) نمضي النهار في السباحة.. نطهو الطعام تحت الأشجار قريباً من الشاطئ، المقاهي تنشط في الليل على امتداد الميناء.. موسيقى، رقص، نتناول إفطارنا في المقهى صباحاً وأنا أتفرّج على الزوارق واليخوت وهي تطلى أو تُغسل استعداداً للإبحار..

***

وصل كتابي (شتاء الخديعة) أزرق بكامله، يوم حار، ... كنت أرتدي ثوباً من القطن الإسباني وأضع زهرة حمراء في شعري.. جلست في المقهى وأحاط بي الأصدقاء ليروا الكتاب..

أيام قليلة من المتعة، وتناول الحلوى والثمار الغضة في مقاهي الميناء نتفرّج على الزوارق المبحرة والمارة الفرحين..

ثم:

الحرب..

التعبئة. حزن النساء..

اختفت اليخوت طوال الليل، واختفى الزوّار وعدت في قطار مزدحم بالجنود..

Twitter: @ketab_n

أيلول ١٩٣٩

غونزالو وهيلبا سالمان في (سان تروبيز)، هنري بخير في (أثينا)، وأنا أتجوّل بين مكاتب البريد بعد أن تلقيت أموالاً عن حقوق النشر لأرسل بعضها إليهم.. (رفضت بعض المكاتب إرسال مبالغ كبيرة).

يوم الاثنين.. الحرب غير مؤكّدة لكن الكمد يسري في الأجواء مثل ضباب مسموم.. الهدوء أيضاً.. الهدوء الذي يسبق الكارثة.. رأيت أمس وأنا أسير في الشارع عناوين الصحف:

- قصف وارشو

هذا يعني لنا الآن الحرب.. ولن نأمل بعد في قيام ثورة في ألمانيا تضع حدّاً للحرب.. لا أستطيع قراءة التحذيرات والرموز على واجهات المطاعم والمقاهي ودور السينما.. المطر... الناس يتصادمون في الظلام... في العقاب.. الأنانية تتصاعد وتتضخّم.. المشاكل الشخصية والتاريخية لا تتلاشى بفعل الأنانية.. مشكلات العالم لا تذوب بسبب الأنانية.. ازدواجية وشيزوفرونيا في كل مكان...

غريزة الموت أقوى من غريزة الحياة.. الذعر.. ملايين من البشر تحوّلوا إلى الجريمة بسبب من ضعفهم، لا طاقة لديهم إلا على الكراهية.. مليون من البشر لا يعرفون سوى الحقد.. والحسد والرعب.. الحرب مؤكّدة.. حرب لسنوات.. إنّهم يؤدّون أدوارهم بالجملة.. لقد انبثقت الكوابيس والاستحواذات السرّيّة للسلطة.. القسوة، الفساد...

Twitter: @ketab_n

قدر هائل من الخراب بوسعه فحسب أن يوقف سفك الدماء..

إنّني أرى كل ذلك وأنا أسير في الشوارع.. ولا أشعر بأنّني جزء من الجريمة.. ولكنّني سأكون شريكة في تلقّي العقاب..

في الساعة السادسة تملّكني شعور بأنّه ليس ثمّة حرب.. كتبت إلى (هنري)، لا شيء واضح.. لا أحد يخبرنا بشيء.. لقد اكتسحت (بولندا) والعالم ينتظر (إنكلترا) و(فرنسا) لتُعلنا الحرب، حرب حقيقية. ننتظر ونرصّ أكياس الرمل أمام النوافذ. الكنوز الفنيّة وضعت في صناديق وأخفيت في الأقبية. ربما لن ندخل الحرب قط.. لا شيء سوى هذه العتمة المسمومة من الخوف والتوقّع والكابوس المتواصل.

أوّل الغارات الجوية كانت نذيراً.. الخطر.. الظلمات.. الحرب تتقدّم باتجاه الناس الذين كانوا يشكّون في إمكانية قيام حرب حقيقية، إنها حرب مقلّدة لإرضاء أولئك الذين ضجّوا في طلبها..

كنا قد خدعنا، وبدا ما يحدث أمامنا غامضاً.. والأخبار شحيحة...

لقد أعلنت الحرب...

لم يدعوا لنا شيئاً سوى مشاركة الإنسانية في الضلال وعذاب العالم الشامل..

كانت رسائل هنري رسائل حرب... يقول فيها: إنّه يتمنّى عليّ أن آخذ أشياءه الثمينة وملاحظاته ومخطوطاته من مقرّ المطبعة لأن بقاء هذه الأشياء في باريس مجازفة كبرى.. المخطوطات ذات قيمة عالية.. تساوي آلاف الدولارات.. إنه حظ طيب لمن سيأخذها إذا فاجأني الموت غداً.. تذكّري أنني أملك الرغبة لترك كل الأشياء لك.. فإذا ذهبت إلى أميركا وإذا كان ذلك ممكناً، أتمنّى أن تأخذي مخطوطاتي وكتبي معك..

Twitter: @ketab_n

رسالة غونزالو مشحونة بالقلق على سلامتي.. يجاهد غونزالو للعودة إلى باريس والعمل مع جامعي القمامة.. رسائله مفعمة بالإنسانية. أمضيت أيامي أتلاعب بالأنظمة والصعوبات لأرسل النقود إلى (هنري) و(غونزالو) و(موريكان)...

البوليس يعرفني.. وقريباً سوف أستنفد كل حيلي.. بدأت أحزم الصناديق وأودعها في القبو، هذا المقطع يصوّر نهاية حيواتنا الشخصية..

أتى (موريكان) ليودعني.. كان يكذب بشأن عمره: ما الذي أستطيع عمله؟.. إنني أموت جوعاً... هيّأت وليمة وداع في مطعم (براسبيرليب) مع جين كارتيرت وأصدقاء آخرين، كان موريكان يعلّق قدحاً من الألومنيوم وطبقاً في حزامه ويحمل سكيناً وشوكة؟!..

وأوصى بأن أرث عنه زجاجة كولونيا من القرن الثامن عشر مصنوعة من الكريستال وملبسة بنقاط من ذهب..

وأعاد على مسامعي بأنني يجب أن أعيش بإيقاعات كونية لا بإيقاع شخصي.

بكيت لأنّني لم أعد أستطيع إنقاذ أي أحد.. أنت لا تستطيع إنقاذ البشر.. بوسعك أن تمنحهم الحب ولا تستطيع تغييرهم ولكنك تقدّم لهم العزاء فحسب.

باريس في الليل..

سرت خارجة من المطعم في الظلمات.. إنّها تجربة مثيرة، لم أكن أميّز أحداً في الظلام.. أتعثّر، أسمع صوت رجل أنا واثقة من أنني أستطيع أن أحبّه.. لكنّه اختفى...

أضواء الليل الغامضة الخفية زرقاء وخضراء تومض هنا وهناك..

Twitter: @ketab_n

تحدّث موريكان عن طفولته عندما افترق عن أجوائها، كنت أستمتع برائحة الكافور وتناول الزنجبيل في الوقت ذاته.

اندهشت لأننا جميعاً نبدأ النهار الجديد بصورة تلقائية كما في الماضي ونحن نعرف أنّنا سنموت غداً.. كنت أرتدي ملابس بسيطة وأضع المساحيق على وجهي وأرسم حاجبي وألوّن أهدابي. وبعد برهة أعلن في الإذاعة عن المأساة... الرعب والعذاب.. إننا نغرق.. لا مزيد من المخدّر... أرتدي معطفاً بلون أرجواني وتنورة سوداء وحذاء من الجلد، أحمل حقيبة عربية من الجلد وأعلّقها في كتفي، أقرأ الصحف.. أستمع إلى الإذاعة.

إنني أمقت الشكلانية لكنّي أحب أن (أشكّل)، إنه فارق دقيق لا يدرك...

لقد فهمت عندما أخبرني غونزالو كيف أن (اللاتناهي) هذّب هنود (الانكا) أكثر من الأوروبيين.. نعم.. لقد كان رقيقاً، نبيلاً في سلوكه وساخراً، وحساساً إزاء الشعائر ووقوراً حتى في مسرّاته. لن أنفصل عن الشكل الذي اخترته لنفسي.. حتى عندما أشرب.. أحسّ أن هذا يعزلني عن البشر..

أحب (الطبيعة) لكنّي أريدها في جمالها.. أيضاً.. بعض الشعوب شعرية بطبيعتها.. الحسّ الشعري لدى اليابانيين كما يخيّل إليّ - مرتكز إلى شكل صارم يكاد يصبح سجناً لمشاعرهم..

فللوصول إلى الصدق - على سبيل المثال - يغدو الأمر صعباً جداً إذا كنت تؤمن بعقيدة حسن الضيافة..

لقد استقبلت في (لوفيسانس) أناساً كنت أزدري سلوكهم ولكني لن أظهر ذلك طالما هم في ضيافتي. يكفيني أنّني أعرف ما أشعر به، ذلك هو صدقي وإخلاصي..

موت البيوت.. كيف تبدو منهارة حالما نتهيّأ لهجرها.. أذكر بيتي في (رتشموند هل) كيف بدا عندما هاجرنا إلى أوروبا، كذلك بيت (لوفيسانيس)

Twitter: @ketab_n

حيث عدت من أمريكا امرأة مختلفة كفّ عن كونه مركز حياتي وكنت أمضي كثيراً من أوقاتي في باريس.. وفي ذات يوم بدا قديماً وشائخاً.. مثل عاشق مهجور، شائخاً وخاوياً. لقد ذوى، اندهشت لأنني لم أكن أشاهد عيوبه ولا تعفّنه.. لعلّها نظرتي هي التي تغيرت؟.. وكذلك الأمر بالنسبة لـ(فيلا سورا) عندما تركها هنري أول مرة عند أول إنذار بالحرب.. فقدت بهاءها فجأة.. وبدت تتقوض.. وبدأ المطر والريح يتسلّلان عبر خصاص النوافذ وتعطّل سخان الماء.. وبدت الرسوم على الجدران مغبّرة على نحو مباغت.. وبدت الرغبة في إصلاح الأشياء لا جدوى منها.. لأن الحياة نفسها قد انسحبت منها.. القلق من الحرب أفضى بنا إلى القنوط والمأساة تنز من البيوت.. من الخارج.. لم تعد البيوت توصد.. (فيلا سورا) وسواها من الأماكن كانت تشهر موت الحياة أمام ناظري.. وتحوّلت البيوت إلى جثث في الليل عندما توقّفنا عن العيش والحب فيها..

لم تعد باريس تضج بغنى الحياة المألوفة فيها. كانت تبث الذكريات فحسب.. نتحدّث بصيغة الماضي.

بدأت أفهم وألامس الحياة من خلال (غونزالو). أفهم عالم المستقبل.. وأرقب تقوّض الجمال في العالم الشخصي الذي ابتدعته..

عاد غونزالو من (سان تروبيز) مليئاً بالأمل والثقة، سوف تتكفّل الحرب بانتصار الماركسية. أثبتت الأحداث أنّه كان على حق..

هرب (هنري) إلى اليونان التي تكمن فيها فلسفته.. ومنحت قنصلية بيرو غونزالو تكاليف رحلة العودة إلى بيرو...

أي أيام حزينة.. الحزن الإنساني في كلّ مكان... على خلاف (هنري) الذي كان قادراً على ترك السفنية تغرق دون أن يلتفت ويلقي نظرة واحدة عليها..

Twitter: @ketab_n

شعرت بارتباط قوي مع فرنسا.. وتعاطف عميق، أمّا هنري فقد ولّى الأدبار دونما أي عذر. إنني حزينة من أجل مصير فرنسا المأساوي..

طريق هنري غير طريقي، إنه يعتقد بأنه بلغ مرحلة التجرّد الشرقية لكنّه يجب أن يبلغ مرحلة تبلور (الأنا)، حياة (الأنا) كقانون فائق.. صدم (موريكان) برسائل هنري.. وحياديته وموضوعيته وهو يصف الوجبات الشهية والأصدقاء الجدد والمُتع الجديدة.. (محفظتي عامرة وبطني ممتلئ، العالم بخير...!).

في الحرب تخسر حياتك مرّة واحدة.. أما في الحياة فإنّك تموت مرّات عديدة..

Twitter: @ketab_n

تشرين الأول ١٩٤٤

رسالة من بريطانيا: (ج. إم - تامبيوموتو) محرّر في مجلة (شعر) يقترح عليّ فيها إصدار طبعة إنجليزية لروايتي (شتاء الخديعة) ومجموعة قصص (تحت الناقوس الزجاجي).

رسالة من مجلة (المطبوعات) يعتذرون فيها عن تقديم عرض لكتابي: (شتاء الخديعة) لأن الكتاب بعيد عن اللياقة..

رسالة من (هنري ميلر) يخبرني أنّه سيأتي إلى نيويورك بسبب مرض والدته..

كتبت صورة شخصية (بورتريت) عن (ستيلا) قمت بتوليفها من شخصية (لويز راينر) وشخصيات أخرى. أطلقت عنواناً مؤقتاً على روايتي (هذا الجوع) وقسمتها إلى جزأين: الأوّل بعنوان (خبز) والثاني (البسكويت الرقيق)، يرمز قسم (خبز) إلى الجوع البدني الحقيقي - أما الآخر البسكويت الرقيق (ويفر) فإنه إجابة عن الجوع الميتافيزيقي.

أجرّب أن أستلّ شخصيات رواياتي من تضاعيف يومياتي، أجرّب بناء قصة لكن الرواية تضاد الحياة وتناقضها. أكتشف أنّ الشخوص تظهر بشكل شظايا متناثرة ولا تكتمل مرّة واحدة، أما خلال زمننا المعاش فإننا نادراً ما نصطنع توليفات أو تجمّعات. فأنا لا أستطيع العمل في رواية ذات شكل مصطنع لأنّني ألاحق التداعي الحر من منابع أخرى لأتابع أثر الشخصية - لا في تكوينها الخارجي - وإنما في حياتها الخفيّة، في تحوّلات حياتها الليلية.

Twitter: @ketab_n

كنت أختنق تحت وطأة عمل المطبعة ولم أعد قادرة على إيقاف مشاكل (غونزالو). ظهر (بابلو) في حياتي بطريقة ممتعة، إذ هاتفني قائلاً:

- أنا بابلو من سلاح البحرية - أمضيت ساعتين أقرأ كتابك (تحت الناقوس الزجاجي) في إحدى الحانات وسوف آتي لأراك ولو لدقيقة واحدة. أعدك بهذا.. لقد أسكرتني قصصك وامتلكتُ الشجاعة لأخاطبك..

كان صوته دافئاً مزهواً، فتيّاً..

قلت: تعال.. دقيقة واحدة، فنحن نوشك أن نخرج لتناول العشاء.

قلت ذلك لأتيح له فرصة للتراجع أو الانسحاب.. وما أن سمعت خطواته على السلّم حتى انفتح الباب ورأيت أوّل ما رأيت ابتسامة ساحرة لا تقاوم وهيأة رشيقة وشعراً بنياً يميل إلى الإحمرار. وجهاً منمشاً وعينين ضاحكتين. أعجبت به حال رؤيتي له وبقي معنا للعشاء.. ثم أمضى بقية السهرة معنا. تحدّث عن عائلته ومراهقته واكتشافاته وجولاته في الشوارع ودور اللهو وارتباطه بعلاقة حب مع امرأة متزوّجة كانت تعمل على تحريره وتجذبه إليها ثم تسعى لإبعاده عنها.

تلقيت مكالمة من (هاري هيركوفيتش)، قال:

- أنا منتظر في الطابق الأرضي، وأحمل مسدساً.. وسأقتلك..

- لن ترغم الناس على الحب.. هاري.. لقد كنت صديقة جيدة لك.. وفتاتك تحبك حباً عميقاً وهذا شيء نادر من الصعب العثور عليه.

- سوف أقتلك..

- سأستدعي الشرطة.

أغلقت السمّاعة.. طلبت مركز الشرطة القريب وشرحت ما حدث.

Twitter: @ketab_n

كان ردّهم:

- أيّتها السيدة، نحن لا نستطيع فعل شيء بناءً على التهديد. علينا الانتظار حتى يقوم بفعلته..

- تعني إنك ستنتظر حتى يطلق النار عليّ؟

- أجل سيّدتي.. فالناس يتلقّون يومياً آلاف التهديدات ولا يمكننا القيام بشيء إزاءها كلّها..

- ولكنّك غير بعيد عن منزلي.. يمكنك إرسال أحدهم ليرى إن كان ثمّة شاب يحمل مسدساً وينتظر أمام المبنى رقم (٢١٥) غرب الشارع الثالث عشر، وهو غير مجاز لحمل السلاح..

- لا نستطيع فعل شيء..

لزمت البيت طوال النهار ولم يزايلني القلق وطلبت أحد الأصدقاء ممّن لا يعرفهم هاري ليتأكّد من أنّ هاري لا يزال أمام الباب.. وعندما وصل كان هاري قد رحل.

يوم سعيد في المطبعة..

تسلّم (غونزالو) نحو ستمائة دولار ثمن طبع كتاب جديد فاشترى النظارات التي كان بأشدّ الحاجة إليها، كما اشترى أحذية وسراويل واشترى لي حقيبة يد وأعطى خمسة عشر دولاراً للفنّان (ايان هوغو) الذي رسم التخطيطات للكتاب..

- صديقتي فرانسيس كانت الوحيدة التي أدركت مقدار المفارقة فيما فعله غونزالو.. لأنّني أنا التي كنت أقوم بالجانب الأكبر من العمل المضني في المطبعة بينما يتسلّم غونزالو الأموال..

Twitter: @ketab_n

أردت له أن يشعر بالثقة والقوّة وهو يكسب المال ويغدو قادراً على انفاق جزء منه في شراء هدايا للآخرين. قد يكون ضرباً من الوهم، إنني أبذل هذا الجهد لرعاية (غونزالو) ولكنّه وهم يميّزه الإبداع.. وهم أن أبتكر (غونزالو) آخر يمتلك الثقة بنفسه.. أو يقوم بمجهود ما...

(غونزالو) متحرّر من أي شعور بالذنب.

إنّه يوم الزهو والتفاؤل والمرح، حتّى إذا ما مرّت خمس دقائق على احتفالنا وجدت نفسي في المطبعة أقوم بالعمل بمفردي، ورغم ذلك كان غونزالو يقاوم كسله الهندي وركوده وإحساسه بالفشل والعجز.

***

رسالة من هنري:

لسبب ما.. سبب غريب، لم أمتلك القدرة على مهاتفتك وكأنني أريد أن أشعرك بأنّك غير راغبة برؤيتي.. أنا نفسي لم أفهم الأمر..

أحسّ بالضياع وأنا أخبرك أين سنرى بعضنا. أنا باق مع (هاري)، ليس من مكان آخر لدي، إنّها فكرة بعيدة عن الصواب.. سأغادر إلى كلية (براين مور) وقد أعود يوم الاثنين.

سأكون في نيويورك (وربما فيها أو خارجها حسب ما يتّفق لي من رحلات وأنا هنا..) حتى عيد الشكر.. ثم أعود إلى الساحل الغربي حالما تتماثل أمي للشفاء.. وقد تعيش سنوات أخرى..

أرجو أنني أستطيع الخروج من مستنقعي النفسي الحالي، لأراك في الأيام القليلة القادمة. إنني أخاف من تأنيبك لي فحسب...

أردت أن أراك أولاً وقبل الجميع ولكنّني آثرت أن أكتب لك بديل رؤيتك..).

Twitter: @ketab_n

إنّه هنري وليس سواه مَن مرّ بتجربة التردّد في رؤيتي. لقد اجتاز الحيرة ذاتها عندما قرّر أن يختار العيش في كاليفورنيا... هنري تخلّى عن صداقتنا.. كشف عن إحساسه بالذنب إزائي عندما كنت في حالة نفسية منكسرة.. وكان عليه أن يحسّ بأنّه مساهم في فداحة ما حلّ بي..

لم يكن هنري قادراً على مواجهة مثل هذا الموقف علانية، لربما كان هذا الانفصال خيراً لكلينا ونحن لا نريد أن نشهد نهايته أو نضطر إليها..

***

عندما أمتلك الإيمان والثقة، أستطيع العيش في فيض من البهجة، ولكن ثمّة أوقات أتساءل فيها إن كان هذا الإيمان ضرباً من وهم.. وفي لحظة أحسّ بأنّني في غاية التوجّس والقلق: هل كان إيماني بهنري هو الذي جعله قوياً بما فيه الكفاية ليذهب بعيداً عني؟

هل يستطيع أحدنا حقاً أن يوجد القوة في الآخرين، أم يكون هو بذاته تلك القوة؟..

إذا ما أدركتُ أن غونزالو وحيد، فهل ستتقوض المطبعة؟... إنني أنا التي كانت تذهب لاستلام تجهيزات الورق، وأنا التي تسحب (البروفات) تلبية لطلب زبون فرنسي سوف يتسلّم مطبوعه في الساعة الرابعة.. وأنا التي تقوم بتنظيف المكائن التي تركها (غونزالو) متّسخة بعد عمل الليلة الماضية..

يهوى (غونزالو) تصميم الكتب والتحدّث مع الزبائن، وعندما يتراكم لدينا قدر هائل من العمل يترك الأمر لي..

إنه يأتي إلى المطبعة في الساعة الثالثة، فإذا بدا عليّ الغضب والاستياء يثور فجأة ويقول:

- إنني فوضوي قديم.. ولا أستطيع أن أكون رجلاً منظماً..

Twitter: @ketab_n

ثم يصفّق الباب ويمضي في هيجانه..

وبعدئذٍ يعود.. هل يستحق الأمر كل هذا العناء؟.. بعد نصف ساعة من مغادرتي يهاتفني غونزالو:

- إنّني باقٍ هنا، لكنّي لم أجد الكتاب الذي تركه لي (أندريه بريتون).. إنني آسف، هل رأيت الكتاب؟

هكذا هو.. لكي يهدّئ من ثورتي يعمد إلى إظهار اعتماده عليّ..

إنّه يتملّص من الطعنات ويتجنّبها بنوع من الحماية الذاتية البدائية المدهشة، إن فقدان البراءة والاضطراب لا يفصحان عن الحذق دوماً..

Twitter: @ketab_n

كانون الثاني ١٩٤٥

أتعلّم خلق الشخصيات، أستطيع ذلك بكفاءة ودقّة بدأت باستلهام الواقع.. تعلّمت من (فرانسيس) من (توريما) و(لويزا) ولكنّي لم أبتكر الصور الشخصية المتطابقة ولم أخلق الشخصيات الروائية إلاّ عندما أجابه بمحدودية الأشياء.

أنا لا أستطيع التكهّن بمحتويات عقول الشخصيات أو الإلمام بمشاعرهم وأفكارهم، لقد أُرغمت على أن أستمد ذلك من خزيني الشخصي. إنني أمرّر كثيراً من خلاصتي وذاتي ووعيي في شخصياتي فلا تعود الشخصية تمت بصلة لأي أحد آخر.. يصبحون نماذج مؤلّفة (مركّبة)..

فإذا كان مشهدهم الحياتي محدوداً: فإنني أسهب في إضافة التفاصيل التي تعتمد على رحلاتي، لكنهم في الحقيقة ليسوا (أنا).. ولا أستطيع القول بتطابق الصورة الشخصية أو التوضع السكوني الجامد في حيوات الآخرين أو تماثلهم المفاجئ أو في أسوأ الفروض، تكراراتهم للقوالب (النمذجة) ولذلك أمضي إلى أقصى ما استطيع في ما وراء الواقع لبلوغ المطلق والإمكانات اللامتناهية. إنني أخشى من تقنياتي غير المناسبة، إنني أقاد فقط برؤية الأبعاد اللامتناهية للشخصية في العمق والتغيّرات في المدى اللازمني..

* سمعت عن زواج هنري من (جانينا ليبسكا).

كتبت له رسالة تهنئة حارة.

Twitter: @ketab_n

قابلت صديقة لـ(جانينا ليبسكا) - (ميريام كرسليمان) التي حدثتني عنها طويلاً. لقد حصلت على الدكتوراه في الفلسفة وهي جذابة فتيّة، فائقة الذكاء..

لقد أرسل لي هنري هدية مفاجئة: هدية ردع..

رسالة إلى هنري،

نعم.. لقد قابلت (فاردا) في الحفلات وأحببته، رأيته كما كنت: حرّاً ومفعماً بالشهوة، رجلاً مرحاً.. إنّه شاعر، لكنّه رجل حقيقي أكثر فتوّة.. ويبدو حبّه للنساء وحبّه لي نوعاً من الراحة بعد كل هذا التجاهل.. إنني أنظر حولي فأجده قد أحال كل شيء إلى أساطير وقصائد وملصقات ومباهج من كل طراز..).

رسالة من ليوناردو:

تلقيت رسالتك المدهشة، وهذا المساء كتابك، أعيد الآن قراءة الرسالة للمرّة الخامسة عشرة.. فأستعيد الإحساس ذاته من الزهو والنشوة الذي شعرت به لدى القراءة الأولى..

بالنسبة لكتابك (شتاء الخديعة).. سأعيد ما قالته (ربيكا ويست) و(أدموند ويلسون) و(هنري ميللر).

إن الاستعارات الموسيقية في كتابك (شتاء الخديعة) هي بحدّ ذاتها شيء فائق.. لقد أحببت جداً فصل (الصوت). إن الرموز الأوركسترالية ممتعة، ولقد كنت قد سمعت أشياء مثيرة عن (يومياتك) أتمنّى مخلصاً أن تستطيعي نشرها بنفسك أو تجدي من لديه الرغبة في ذلك..

Twitter: @ketab_n

أعدك بأنني سوف أرسل لك ثمن الكتاب الذي تسلّمته حالما أدفع بعض ديوني إلى (هنري) عن شرائي للوحاته.

أطلعت (والاس فاولي) عمّا قلته بشأن مقالته في (كينيون ريفيو) وكان ممتناً تماماً، وسوف نراك قريباً أنا و(فاولي) قريباً كما آمل. فيما يتعلّق بعملي الذي استمتعت به إنني أعمل في قصة قصيرة الآن.. قرأت محاضرات (والاس فاولي) عن الكتّاب الفرنسيين المعاصرين فوجدت فيها مسحة من رومانسية التلاميذ التي أرفضها تماماً.

أستطيع القول دون مبالغة أن العالم الجديد بكامله قد انكشف لي عندما كنت ألتهم أولى جرعاتي من: بودلير، ورامبو، وهنري ميللر، وأندريه جيد، وفاليري، وبروست، وسواهم ممن لا حصر لهم.. ستمرّ أشهر وسنوات قبل أن يترك عملي الأدبي أثره وفعله في حياتي..

لقد تحدّثت طويلاً عن نفسي.. لقد كنت مشوّشاً ومرتبكاً وأنا اقرأ رسالة من رسائلك فأجد فيها هذا الامتزاج بين الفنانة والشخصية العامة.. أنت التي تنفق الأموال على هذا الكاتب المعدم أو تشجّع الآخر.. إن ذلك يصيبني بالدوار.. ربما أريد أن أكون أحد أفراد مجموعتك أكثر ممّا أريد أن أنتمي لـ(سومرست موم) أو (بوت تارنغتون). أشعر أنني أريد تكريس نفسي لمشقة أن أكون مليونيراً وعندئذٍ سوف يتوفّر لي المال لتأسيس دار نشر، دار نشر في مستوى يؤهلها لنشر مجلدات يوميات (أنابيس نن) بأغلفة مخمل وحبر مذهّب. حسنٌ، أخشى أن أكون قد أخذت الكثير من وقتك.. شكراً مرّة أخرى للكتاب والرسائل وما استمتعت به. لا أستطيع إنهاء رسالتي دون الإشارة إلى إعجابي البالغ بتقنيتك البارعة التي لا أستطيع حتى هذه اللحظة تحديدها واشكرك لهذا الفيض من الرموز الجميلة الجسور التي تمتزج إحداها بالأخرى في استحالات كاملة مشابهة في تحولاتها لمقطوعة (بتروشكا) لسترافنسكي...

Twitter: @ketab_n

عاصفة ثلجية وأنا أعمل في روايتي (ذلك الجوع)، تعطلت آلتي الكاتبة، فخرجت تحت انهمار الثلوج حاملة آلتي لتصليحها، وعندما عدت فقدت رغبتي في الكتابة عن حياة (دجونا بارنس) وجوعها في ملجأ الأيتام.. شعرت أنّني أتوق للكتابة عن الثلوج.. دوّنت كل صورة خطرت لي.. كل الأحاسيس والتخيّلات والرؤى التي جربتها خلال مسيرتي وسط الثلوج.. لقد أعادتني العاصفة الثلجية إلى زمن غابر، إلى مراهقتي الساذجة المسوّرة بالرغبات..

أجريت مقارنة بين ما كانته مراهقتي مع المراهقة الراكدة الباردة للمحيطين بي الآن..

كل شيء في حالة انصهار: الثلج، صقيع الخوف، ثلج العذرية، الطهرانية، البراءة، ودائماً ثمّة ذلك الخطر المفاجئ للذوبان..

كتبت عن نفسي، وعندما انتهيت أدركت أنّني كنت أصف مراهقة (دجونا) وضمور مراهقة الآخرين. كتبت ثمانياً وثلاثين صفحة عن الثلج في النساء والرجال وعن (دجونا) والملجأ.. عن جوعها..

نشرت لي مجلة (المدينة والريف) صورة فوتوغرافية لي وقد ارتديت ثياباً من طراز حديث.

سمعني المصوّر أتحدّث عن النساء الأربعة في كتابي الأخير فأراد اختبار الموضوع فوتوغرافياً عن طريق ارتدائي ثياباً مختلفة لكلّ شخصية وفي النهاية أرتدي شخصيتي: أنا الكاتبة الروائية (أنابيس). هيّأت الثياب التي بدت لي مناسبة لشخصيات (ليليان) و(دجونا) و(ستيلا) و(هيجدا). اخترت لشخصية (ليليان) ثياب سهرة، وأجريت عليها بعض التعديلات لتناسب مقاساتي.. بلوزة بسيطة تخلو من الزينة تماماً، عقصت شعري بأسلوب بسيط.. وعندما نظرت إلى نفسي في المرآة وجدتني اشبه أبي الذي كان يسحب شعره الطويل إلى الوراء على عادة فناني عصره.. وقد استمتعت بالأمر واستهوى ذلك ولعي بالتنكّر..

Twitter: @ketab_n

ثم ارتديت لشخصية (هيجدا) ثياباً شرقية مع نقاب رقيق على الوجه.. ستيلا كانت رقيقة، أنثوية سهلة القياد. وفي وسط الصورة ستظهر الروائية مرتدية ثياباً بسيطة لتبدو طبيعية وسط شخصياتها..

فعلنا كل ذلك في جو من الدعابة والسوريالية، أنجز المصوّر عملية الكولاج ولكن مجلة (المدينة والريف) لم يرق لها العمل ولم تظهّر الصور، فأعطاني المصوّر إياها. ظهّرت صورتي وحدي. أيّام الإلهام المحموم، طوفان من الكتابة الذاتية وفيض من الارتباطات والنوادر المرتجلة والحرية المطلقة.

ما كان يحدث هو ذلك الذي يؤججني من الأعماق.. أعماق حياة اللاوعي التي ضيّعت فيها النساء تميزهن وخصائصهن الفريدة واتجهن واحدة إلى الأخرى..

وكأنني أكتب عن الحياة الليلية للمرأة فاختلطت الأمور، وضاعت الحدود وغابت التمفصلات وامّحت. في هذا المستوى - ما تحت الوعي - يتشابه الناس في العواطف والغرائز والأحلام.

وبينما أفقد قدرتي على التركيب والبناء وعلى تمثّل الواقعية أبدو وكأنّني أمسك بنوع آخر من الواقع.. لقد خرجت اليوم بثمان وثلاثين صفحة عن امرأة الثلج، المراهقة - العذراء منسوجة مع قصّة روتها لي (فرانسيس) عن حياتها في ملجأ الأيتام..

إنّ جمال هذه اللحظات يشعّ مع حريّتي وفيوض حبّي التي تستطيع أن تتوهّج بذاتها، وستبقي كل شخص في جو رومانسي، وتجعل كلّ أمسية وكلّ لحظة تثمر خصباً في العيش وثراءً في العاطفة والرقّة والرعاية والمتع..

تتألّف حياتنا بشكل هائل من الأحلام... من اللاوعي... ولهذا تؤثّر هذه الحيوات في العلاقات السببية بالأفعال، فهي لا شك منسوجة معاً.. لا أقول هذا لأنّني أعشق التعقيد بل لأنّني جرّبت الجمع بين جميع العناصر..

Twitter: @ketab_n

تسمّي (فرانسيس) هذا الأمر (التناغم) التجميع الهائل للأشياء.

هذا هو أسلوب حياتنا، لقد قالت ذلك في معرض رفضها للزخرف.

متى سأشرع في كتابة (الرباعية)؟

سأبدأ عندما ينتج اللاوعي هذه التعقيدات الهائلة والمستويات المتراكبة والحقائق..

أستمع إلى الموسيقى كما لم أفعل ذلك من قبل. أنغمر فيها - كتاباتي السيمفونية تحير أولئك الذين أحبّهم وأثق بهم. لم يكن يشغلني سوى رغبة واحدة هي أن الكتابة يجب أن تصبح موسيقى وتنفذ إلى الأحاسيس مباشرة..

من هنا أجد الشعر ضرورياً، حديث اللاوعي هو لغة رموز فحسب، وهذه هي لغتي..

تعجب فرانسيس بأسلوب تعبيري المباشر عن المرأة في مقدّمة الكتاب، لكن هذه كتابة نخبوية، وليست تلك الكتابة العاطفية والحسّيّة التي أبحث عنها.. وأسعى إليها..

أريد للمعنى أن ينفذ إلى الجسد بأيّة طريقة ما عدا العقل...

أنا لا أكتب بطريق العقل. فرانسيس تحب كتابتي عندما يحضر العقل ويتّضح.. أمّا أنا فأحبّها عندما تكون محجوبة في التناغم السيمفوني، وعندما يصير العالم في رأسي عالماً من الصور والموسيقى..

لقد طال أمد افتقار النصّ لقوّة السحر..

كل شيء في داخلي متزاوج: الحب مع الجسد، الجنّة مع الجحيم، الحلم مع الفعل..

ليس هناك قطع تحليلي ولا انفصال بين العناصر، ولكوني امرأة،

Twitter: @ketab_n

فسوف أعيد تجميع كل ما جرى فصله من عناصر وأمنح ولادة جديدة لكل شيء جرى اغتياله.

- دعاني (أدموند ويلسون) إلى العشاء.. أحسست بمحنته وكربه وتلقّيت اعترافاته:

حتى لو كان (إدموند) صديقاً غير حميم فإنّه يقدّر تعاطفي معه ويسعى إليه..

إنّه وحيد وضائع.. ذهب إلى فرنسا مراسلاً حربياً وطلب منّي أن أرافقه لشراء البدلة الحربية وكيس النوم، تحدّثنا وباح لي بمعاناته مع (ماري مكارثي)..

أعدت كتابة مقطع الثلج وذلك المقطع الخاص بإذعانات المرأة..

بدأ الكتاب يتّخذ شكلاً.. وقد انقسمت النساء فيه إلى عناصر أو أدوار:

- دجونا: الإدراك الحسّي.

- ستيلّا: المعاناة العمياء.

- سابينا: المرأة الحرّة.

- ليليان: المرأة التي تنشد التحرّر عن طريق العدوانية.

كان اقتراب الروس على بعد تسعين ميلاً من (برلين) مثار أحاديثنا المحمومة الممتعة.. لحظة هائلة لهذا العالم..

Twitter: @ketab_n

تشرين الثاني ١٩٤٥

أدركت الآن علّة شغفي بالشباب. صداقتي العميقة المفعمة بالرقّة والتفهّم لهم:

ليوناردو - بابلو - مارشال - شارلز دويتس. ترى لماذا لم أتوصّل إلى إدراك هذا اللغز من قبل؟

أنا الآن امرأة ناضجة.. تخطّيت عمر الشباب وهم يصغرونني بعشر أو خمس عشرة أو عشرين سنة.

بابلو يعبّر عن أفكاره بحركات جسديّة، وليوناردو ظلّ مغلّفاً بسُدم المراهقة.. تلك السدم المنتشرة التي نراها تحيط بالكواكب في مواقعها النائية.. (مارشال) في العشرينات من عمره يميّزه الدفء والتألّق والحيوية شأن كوكب (عطارد)، و(شارلز دويتس) هذا الرجل المتشكّل من كريستالات الشعر الأبدية غير القابلة للذوبان أو التلاشي وعيناه العميقتان ترسلان شارات القلق والإرتباك كلّ لحظة..

لم أكن معهم لأنّي كنت أريد حمايتهم أو لأكون دليلتهم فأقودهم، بل لأنّني أشاركهم الأفكار والمشاعر ذاتها.. كنت مطالبة بأن أكون تلك الأم الحكيمة أو المُلهمة التي تثير التأمّل، وكنت مطالبة بأن أكون الكائن الكامل المقاوم لكل تغيير. كانوا جميعاً يمثّلون حقيقتي الجوهرية التي تقرّبني من طموحاتهم واحتياجاتهم..

Twitter: @ketab_n

إن روح الشباب تضيء عالمنا وتعمل على تغييره من عالم قاتم ظالم ومحسوم ومتصلّب، إلى عالم متدفّق متاح إلى حدٍّ رائع. عالم سهل القياد قابل للتشكّل والتغيّر وكأنّه عالم ولد توّاً..

كنت أسمّيهم (الأولاد الشفّافون)، وعندما تجرّأ (ادموند ويلسون) على الانتقاص من المتعة التي أحسّها في صحبتهم لأنّهم لا يشكّلون صحبة تليق بامرأة ناضجة، وجدت فيه ما يقصيني عن نضجي ويسحبني نحو المستقبل..

ثم هنالك فوق ذلك غياب المتعة في رفقته، فهو رجل شره للطعام ويتحوّل الحب معه إلى حالة واقعية خالية من أية متع روحية - أقرب إلى النثر الثقيل.. إن عالم (ادموند ويلسون) عالم مكوّن من مجموعة الأفكار الجاهزة والتقاليد الثابتة، فقمت بالتمرّد على تلك التعاليم المنقوشة على الصخر والتي لا يمكن تغييرها: وكذلك حياة (ادموند ويلسون) وكلماته، وكتابته فوق الصخر.. وعدت إلى عالم الشفافية حيث يتحدث الشباب بعفوية وتلقائية ويتصرّفون وفقاً لأحلامهم ويبحثون عن تحقيق خيالاتهم..

في هذه الفترة تخلّصت من الخوف والرعب اللذين تملّكاني في مواجهة الجمهور ووافقت على الظهور في أمسية للقراءات الشعرية لإحدى الجمعيات.. لبثت هادئة على مدى النهار وودت أن أبدو في أبهى فتنتي، فارتديت تايراً أسود مع قميص وردي وصحبت صديقتي (فرانسيس)، وأخذ قلبي بالخفقان حتى كدت أسمع نبضي العالي.

كانت الأضواء الساطعة تنهمر أمامي، أصابني الرعب في البداية ثم قرأت محاضرتي القصيرة ومقطعاً من نصّ (هذا الجوع) بعنوان (إنها تتحدّث مع الطفل في أعماقها)، ثم قرأت (راج تايم). صفّق الجمهور ولكنّي لم أستشف ردود الأفعال الحقيقية إنّما أحسست بأنّني أكتب نصّي هذه اللحظة، وأستمتع به... كان التصفيق حاراً وهائلاً.. وقّعت على كتبي

Twitter: @ketab_n

- أحسست بتألّقي وقهري للخوف باتّصالي مع قرّائي.. آه، لقد تحرّرت من قوقعتي. قالت فرانسيس: لقد أجدت في القراءة فاستمتع الجمهور.

غادرنا إلى ستوديو مايا درين ورقصت مع بابلو..

لا يستطيع المرء تغيير صورة العالم إلا من خلال العالم الشفاف الذي نبصر الروح عبر شفافيته ونعثر على إمكانات التغيّر والإبداع..

إن حلم الأولاد الشفافين - هو هذا الضوء في أعماقهم..

رأيت أحذية شفّافة فأغرمت بها.. إني أحب الكريستال.. أحب الشفافية..

عن سطوة الخجل.. كيف نعرف عن المخاوف التي تغيّر أيّ شيء؟.

كانت أعظم مخاوفي هي مواجهة الجمهور المجهول، أرهبتني تلك التجربة: أن أكون خارج دائرة أصدقائي التي أحسّ داخلها بالأمان.. بحثت عن السبب وعالجته بالتحليل النفسي. نحن كالأطفال، لقد اعتدنا أن نشعر بأننا لن نكون محبوبين إذا لم نكن طيّبين (حسب تعبير الأهل)، وعندما نبدأ بتأكيد جوانب شخصياتنا ينبذنا الأهل...

لقد كبرنا ونشأنا على فكرة أننا إذا كنا أنفسنا حقاً فإننا سنكون مرفوضين.. كذلك شأن المبدع بخاصة في مجال الأدب - نحن نعبّر عن أنفسنا الحقيقية ولكنّنا نخشى أن لا يتقبّلنا الآخرون لهذه الذوات الحقيقية.. ويبدو علينا الجبن أو الخجل. نستطيع التغلّب على الجبن مع أولئك الذين يفهموننا ويتقبلوننا...

والآن عندما أواجه العالم بنفسي وحقيقتي التي عبّرت عنها في نصوصي تحدث الازمات وتثار الأسئلة:

- هل سأكون محبوبة؟.. هل سيرضون عنّي أم أنّني سأعاقب وأنبذ؟..

Twitter: @ketab_n

فليسقط الخوف.. في الليلة الماضية دخلتُ التجربة واجتزتها بتفوّق..

لا تصلح كتابات (ادموند ويلسون) للجمع بين الأوكسجين والفراشات المحلّقة في الفراغ.. إنها - تنصاع - دوماً للجاذبية الأرضية وتتدحرج باتجاه الأسفل.. إنه ناقد تقليدي غير ملهم.. أخشى أن أكون أنا التي تختار شخصياتها - ثم أخترع قصّة لها... كما ترين. يقدّم (ويلسون) صورة الكائن الراشد.. وهذا يعني - الرغبة - السلطة والمصلحة الذاتية.. أهداف عالمية.. بينما تكتنف عالم المبدعين والشباب ضروب من الزهد والنقاء الإنساني..

Twitter: @ketab_n

تشرين الثاني ١٩٤٥

قال لي (ليو ليرمان) بأنني أبدو في فيلم المخرجة (مايا) شبيهة بالشاعر (شيلي) وبشفافيته ذاتها..

عندما أبدأ بالتركيز على مفردة معيّنة كالشفافية مثلاً أجد أن عدوى استعمالها قد تفشّت بين الناس، إنها كلمة السرّ.. الكلمة المفتاح..

تمرّ بنا أنا و(ليو ليرمان) نزوات ونتحدّث في الهاتف أحاديث حرّة..

أخبرني أنّه سار عبر زجاج النافذة.

قلت: أنا أكيدة من أنك قادر على إتيان هذا الفعل، السير عبر الزجاج دون أن تصاب بأذى.. لأنّك تملك نعمة الواقع المتحوّل.. نعمة الطيران فوق المخاطر والسير عبر الزجاج..

- لماذا تقولين ذلك..؟ الزجاج كان مغلقاً ولم أصَبْ بأذى..

لم يفهمني ادموند ويلسون أبداً. فقد كان يعتقد أنّني مثل (أوندين) التي لم تعرف الحب ولم تتعرّض لمعاناة العذاب.

كنت أعيش في مجال اللاوعي وأكتب باستمرار عن تلك العوالم الأعمق والأكثر جذرية لأبلغ منطقة الوعي الجمعي للنّساء..

هناك مفارقة في الحياة الحالمة.. فقد حلمت بالعيش في بيت عائم، فوجدته، وعشت الحلم كما تمنّيت، ولكن عندما لا تحقق الحياة المحلوم

Twitter: @ketab_n

بها نفسها في الواقع، تصبح فخّاً مأساوياً.. هل حقاً أننا نختار شخصياتنا؟ أصدقاءنا حسب النموذج اللاواعي الذي نحاول البرهنة عليه؟..

لم أكن أصدّق أنني سأجابه أعداءً مستحيلين، (ادموند ويلسون) هو العدو الذي يرمز للكتابة، والبحث والحب..

إنه ناقد مفوّض بسلطة مطلقة على الأدباء، وهو يتربّع على عرش صفحة النقد في مجلة (نيويوركر). ينحني الناس للإسم دون أن يتساءلوا عن أحكامه..

***

بعد أن غادرنا ستوديو المخرجة (مايا درين) أمسك مارشال بيدي وقال:

- أنابيس هيا نركض.. لأنّنا إذا عدونا بسرعة معيّنة فلن نشاهد قبح نيويورك..

- ليونارد: حدسيّ.. ويُستفزّ في الغالب بطريقة طفولية أمام استيهامات مباغتة.

تشالرز دوتيس: فذّ الذكاء.. أكثرهم ثقافة وإدراكاً.

مارشال: أكثر خبرة بالحياة.. أعمق عاطفة وحرية..

بابلو: إنه عاطفة بأكمله، كرنفال أنشطة مرحة. عنيف، تميّزه قوّة جسدية فائقة..

يبقى ليونارد نوعاً من سديم غائم رطب ومعتم كالمسرنم، أما مارشال فإنّه قريب إلى البوح بالمشاعر الإنسانية، وجميعهم على قدر هائل من الرقي والتهذيب وهذا ما حبّبهم إليّ دون سواهم.. لكنهم أحاطوني بنوع من سجن وهمي وأعلنوا استياءهم من كل ما هو عادي وتافه ويومي كأنّه جريمة كبرى..

كانت (فرانسيس) تقول لي: إنك تبدّدين زمنك مع هذه العصبة.

Twitter: @ketab_n

لكنّي كنت أجد الوقت الذي أمضيه معهم أشدّ غنى وامتلاءً من الوقت الذي أمضيه مع (ادموند ويلسون)، فأحسّ معهم بالإلهام والاندفاع. إنهم يفهمونني بشكل أفضل ويمتلكون المثالية المتطلبة التي تزخر بها الروح الفتيّة.. من الصعب إرضاؤهم وهم واثقون من أنّك لن تخونهم أو تتخلّى عنهم، ولكي تربح ثقتهم يجب أن تبقى نقياً.. كم هم موفّقون في معرفة خطوتهم الأولى نحو منطقة الوعي.. لكي تسرّهم يجب أن تتخلّى عن النضج وأن لا يفسدك الواقع..

إن التناظر ما بين الطفل والفنّان يكمن في أنّ كليهما يعيش في عالم خاص من صنعه هو.. وكلاهما، الفنّان والطفل، يبتدع عالمه الداخلي المحكوم بتخيّلاته وأحلامه. إنهم لا يفهمون عالم المال أو السعي إلى السلطة.. إنّهم يبدعون دون هدف تجاري، فهم متمرّدون ضد الأوضاع القائمة ولا يستطيعون ممارسة الغش والخداع، ويرون العالم الواقعي محكوماً بقوانين التسويات والحلول الوسط وخداع النفس وخيانتها...

هناك تواز بين اللعب في عوالم المراهقة والإبداع الفنّي. لقد كتب (د. رانك) عن هذه القضية: (اللعب والتخيّل)، كما كتب الناقد (والاس فاولي) في الموضوع ذاته:

(إنّ الشاعر هو ذلك الشخص الذي تتبقّى فيه حساسية الطفل حتّى في مراحل نضجه، ومن هذا النبع تتدفّق قصائده).

ستوديو الفنان (نوغوشي) في (ماكدوغل آلي) من أحب الأماكن في نيويورك إلى نفسي. فالمباني هناك صغيرة والشارع مرصوف بالآجر ومضاء بفوانيس غاز تعيد إلى الذهن شوارع إنجليزية وفرنسية عتيقة، وعند النهاية المغلقة للشارع تشمخ وراء الجدار أجمة أشجار..

تختلف الستوديوهات عن البيوت في طرزها المعمارية، إذ تجدها أكثر

Twitter: @ketab_n

حميمية من البيوت ويكتنفها الغموض.. أطلعني النحّات (نوغوشي) على نماذج مصغّرة لأعماله النحتية الكبيرة.. بدت المنحوتات أشبه بمدينة تماثيل تجريدية. سألته: هل تحب هذه المصغّرات؟

- أحسّ بعاطفة رقيقة نحوها.. لأنّها تنتمي إليّ. هذه المنحوتات إنسانية وقابلة للامتلاك، إنها في متناولي وتستلقي في راحة يدي.. الأعمال الرئيسية ضخمة جداً وقد اقتطعت مني - استؤصلت - ووضعت في المباني الكبرى.. أو ذهبت إلى المتاحف التي تعرض الفن الحديث.. إنهم سيعجبون بها، لكنّها لم تعد تخصّني بعد.. إنني أحب هذه العوالم التي توجدها المصغّرات..

Twitter: @ketab_n

المبدع : يفتح صندوق باندورا

- هناك الكثير من العلامات التي تشير إلى تسارع الحرب نحو نهايتها..

- الشخص الوحيد القادر على فتح صندوق (باندورا) وهو يمتلك الجرأة والحصانة لذلك هو الفنّان، فهو عندما يفرغ الصندوق من إحدى أكاذيبه أو أوهامه فإنّه يستطيع ابتداع صندوق آخر وحشوه بموضوعات جديدة، وبوسعه أن يضع مرّة أخرى العوالم التي يبتدعها والاكتشافات التي يقوم بها..

لا يمكن للإنسان أن يعيش حياته وفق نظرة (سريرية - اكلينيكية) أو نفسية مجرّدة أو تاريخية لعالمه، بل يتوجّب عليه امتلاك القدرة على ابتداع وسيلة لإعادة الحياة لعالمه وتصحيحه وتجديده..

- مارتا تواصل التحليل بدل ممارسة الحسّ، التحليل عوضاً عن العيش في الحسيّة اللاواعية.

كان هذا موضوع حواراتي مع (د.رانك) المحلّل النفسي. فالمزيد من الوضوح والبصيرة يخلق لنا عالماً صحراوياً، فيضطر المرء عندئذٍ للبحث عن الماء، ليعيد زرع عالمه ونثر بذوره فيه..

أما (فرانسيس) فكانت تبحث لتكتشف الفارق بين الحدس الإبداعي والوهم، وكانت تخشى أن كثيراً من حدوسي ما هي إلا أوهام مجرّدة.. ممّا يتطلّب تصحيحها في النهاية.

Twitter: @ketab_n

ويخيّل إليّ أن أوهامي هي السبب المباشر لما أعانيه من ألم وضيق نفسي. لكن الحدس يفضي إلى الألم أيضاً، إنّما لم تسبّب لي حدوسي الموت حتى هذه اللحظة.

الحدوس تسبّب لك الأذى لأنّك لا تستطيع إثباتها لأحد، فتلبث وحيداً معها فيما يقول جميع الآخرين أن الأمر ليس كما تظنّه..

التحليل أيضاً يمكّنه أن يؤدّي إلى تحطيمك، فله وظيفة مزدوجة. غير أنني أجد كلاً من الحدس والتحليل ضروريين للإنسان ليعيش بعاطفة وتهوّر وليجرّب المغامرات، ثم يقوم بتفسير الأمر في النهاية في سبيل أن ينقذ نفسه من الكارثة إذا ما انقلب الأمر إلى وهم أكثر ممّا هو حدس إبداعي خلاق..

يمتثل (بالدوين) لمخاوفه فحسب، إنه نوع من الازدواجية، فهو ينشد السلامة وينسحر بعالمنا ثم يخافه..

* الرواية عمل زائف. وأنا أتمرّد عليها عندما أقوم بكتابتها، التأليف زيف، سابينا امرأة العواطف، ليليان سيدة الغريزة ولكن المتمنّعة، (دجونا) امرأة النفس، هيدجا المرأة ذات الانحرافات الشرقية والحرية الجديدة، ستيلا الممثلة التي تحيا بواسطة التنافذ.

تقول فرانسيس بشيء من الذهول:

- في النهاية أنت تدوّنين الحقيقة دائماً، الحقيقة التي يظنّها الناس محض خيال ولكنّها من الناحية السيكولوجية واقعة أكيدة.

أنت تنبذين الواقعية لا الواقع..

* ليلة صيفية، النوافذ والأبواب مفتوحة، ضجة المدينة واضحة وواخزة.. المزامير الغامضة تعلو من النهر مبهجة والرسوم الزخرفية التي رسمها (بابلو) و(ليونارد) تزدهر في العتمة.. فكلّ الأضواء غادرت: لحظة سلام..

Twitter: @ketab_n

الراحة هي العمل - العمل في المطبعة، أعمل على طباعة كتابي (هذا الجوع) وأصحّح البروفات.

قال ليونارد قبل مغادرته:

(سوف أمضي سبعة عشر شهراً في التدريب العسكري والدراسة ثم بعدها سوف يرسلونني إلى اليابان..).

ثمّة تناظر بين إلقاء القنابل النووية وإلقاء القنابل الخاصة بالشخصية الإنسانية عبر طريقة التحليل النفسي.. هذا التشرذم والانفصال بين عناصر النفس الذي يحرر طاقات جديدة.

أؤمن أن الحصيلة العلمية بوسعها أن تُستخدم أو تُطبّق في الحياة النفسية..

يجب أن أدرس الموضوعات العلمية كأساليب رمزية لجعل الأعمال المتعلّقة بالحياة النفسيّة أشدّ وضوحاً. أؤمن أنّ ثمّة رابطة بين ما هو كائن في أعماقنا وما هو خارجها، مثلما يفعل العالم ويخطّط الطريقة التي يفصل بها العناصر ليبلغ نواة الذرة. فالمحلّل النفسي يخطّط السبيل إلى طبقات الشخصية ليبلغ نواة أو جوهر النفس.

- أتراني اهتديت إلى سرّ الفرح؟..

- يظهر الفرح في الأشياء الصغيرة، أمّا الموضوعات الكبرى فإنّها تستبقي المأساة. لكنّ ورقة نبات رفرفت أمام النافذة هذا الصباح وكأنّها مدفوعة بإشعاعات الشمس، وعصفور يجثم على سلّم الحريق، ومذاق القهوة، والبهجة التي غمرتني. وأنا أسير إلى المطبعة. إن سرّ الفرح هو براعة الألم..

كانت الأمور تزداد صعوبة في المطبعة، فقد سبّب غونزالو المشاكل لعدم

Twitter: @ketab_n

التزامه بالوعود وعدم إنجازه الكتب في المواعيد المحدّدة وعدم دفعه الفواتير: غير أن ما كان يوازن الأمر لدي هو نمط العيش في الاستوديو الذي كان يقوم به بابلو وتشارلز وجوزفين ومارشال. كانوا يذهلونني ويبهجونني.. مثل أسرة من المراهقين.

* رفضت مقابلة (مارشال فيلد)، فلديّ نوع من كبرياء إزاء الأثرياء. أنا أعرف الكثير ولن أفلت من فساد السلطة.. سلطة المال، وفي هذا الأمر أجدني طهرانية. فأنا أحب الناس الذين يحفّزهم الحب لا السلطة والقوّة، فإذا امتلكت المال والقوّة ثم داهمك الحب، فإنّك ستتخلّى عنها جميعها..

بالأمس كنت سعيدة لأن (أولغا) أرسلت كتابي إلى الناقد الفرنسي (ليون بيير كوينت) الذي كتب دراسة مهمة عن (مارسيل بروست) وهو الذي أنضج ذائقتي عندما أتيت إلى فرنسا.

* حضرت زفاف (لويز راينر) و(روبرت نيتل)، كان الحفل رسمياً جداً ولم أستمتع به لكنّهم كانوا في غاية السعادة، وسرّني أن (لويز) انتشلت من حياة الممثّلة الشديدة القوّة.

Twitter: @ketab_n

نيسان ١٩٤٦

فجأة يحلّ الربيع، النوافذ مشرّعة واصوات الأجراس ترنّ في الشارع الخامس (فيفث أفينيو) في نيويورك.. تمتلئ الحوانيت بالزهور والجموع يعمّها المرح. اشترى (غورفيدال) بيتاً في (غواتيمالا). كان البيت فيما مضى ديراً للرهبان، إنه بيت رائع، وسوف أزوره متى أصبح مهيّئاً لاستقبالي.

حول الكتابة: أنا لا أكتب في تأريخية الواقعة كما تظن (دايانا تريلنك)، فالتحليل النفسي لن يكون غير أساس فلسفي لعملي.. وقد أرتضي أن يكون التحليل النفسي المقدّمة المنطقية للعمل.. ذلك لانّ اللاوعي هو الذي يحكم ويشكّل الحيوات، غير أنّي أستخدم اليسير من الفن في حكاية القصة. ليست تلك القصص التي تؤرّخ الوقائع، وإنما تلك التي تروى برؤية جديدة للشخصية المتفتّحة. والقول بأنني أكتب عن تأريخية الواقعة يشبه القول بأنّ الشاعر يدرس علم الفلك فيصبح متآلفاً مع حركة الكواكب وتطوّرها، فيكفّ عن كونه شاعراً ليكون عالم فلك.. أعمل جيداً هذا الصباح، أكتب صفحات عن مراهقة ستيلا، عن العلاقة بين مايكل ودونالد، قصة عن تفتّح الزنبقة كي أربطها مع مشهد أوّل حب في المراهقة: ظهرت القصّة في مجموعة (أطفال القطرس).

الاثنين: أملك إلهاماً وحافزاً للكتابة، كتبت صفحات عن سابينا وسيارات إطفاء الحريق، كتبت عن حياة المقاهي، كتابة بالغة الصفاء.. الكتابة أيضاً هي عمل سيمفوني، هي فنّ الباليه وفنّ الرسم..

Twitter: @ketab_n

تؤدّي الفنون دوراً رمزياً للأشياء التي لا يمكن أن تُقال بالكلمات وإنما يُشار إليها بالرموز.

الاتّجاه الأساسي والثابت في عملي يطابق الواقع النفسي والرغبات التي أخضعت للتحليل، تحليلها في لحظة حدوثها وليس بناءً على أفكار لاحقة ثابتة مثلما فعل (مارسيل بروست).. كل أنواع النساء يمكن أن تلتقي في نقطة واحدة لأنّ كل ما هو غائر في الأعماق وما هو موجود في اللاوعي يتشابه عند الجميع..

كذلك يحدث في الحياة أن النساء يصبحن ذواتاً أخرى، يتبادلن المواقع مع بعضهن أو يتطابقن ويتصيّرن شخوصاً مغايرة.. يطرحن أجزاء من ذواتهن في ذوات الأخريات، خلال الأخريات هناك تطابق وتنافذ وتبادل وثمّة أجزاء من نفوسنا تنتقل إلى نفوس الآخرين. أكتب عن بيتي في ضيعة (لوفيسانس).. أكتب نقداً عن (فيرجينيا وولف).

معظم شخصيات (فيرجينيا وولف) تجنح إلى أن تبقى كمجموعة من الانطباعات والأحاسيس، وتظلّ قيمها مطوّقة في حدود أعماقها.. أما القارئ فإنّه لا يتلقّى هذه الشخوص عن طريق تجاربها الحياتية التي تقدّم التأثرات الفلسفية. هذا يقال في معرض الحديث عن أعمالي أيضاً..

كنت أريد أن أقدّم في كتابي (شتاء الخديعة) الخلاصة النقيّة للشخصية، مخططات عن الشخصيات القومية، مخططات عن الزمان والمكان - وأفضل ما أقوم به هو اختراقي للجانب الأعمق من الكائن الإنساني، النفس الداخلية - لأصف حالات الأرق والاستحواذ والبرود الجنسي..

يقول (لاني بالدوين) إن الجزء الثاني من كتابي (شتاء الخديعة) كان يشبه البركان، بركان حقيقي، لكنّها براكين مؤمّنة الصمّامات، يمكن التحكّم بها..

Twitter: @ketab_n

تزوّجت (نانسي بانكس) من عازف غيتار زنجي اسمه (دون). نمت صداقتنا خلال تصوير فيلم (مايا درين) ثم التقينا في مطعم (كاليبسو) واستمعنا إلى زوجها يعزف الجاز، روت لي نانسي قصّة حياتها فانشغلت بها وأحزنتني جداً.

في يوم آخر قصدت شقتهما التي تقع في مبنى صغير على نهر (هدسون)، أخبراني عن طفلهما وكيف أنهما لا يستطيعان السير معاً في طرقات القرية دون أن يتعرّضا للإهانة، وفي كثير من الأحيان للخطر، كان طفلهما جميلاً. لم يكن في الشقة إلاّ القليل من الأثاث والكثير من الكتب والاسطوانات. وقدر هائل من الحب..

حول الكتابة: الكتابة بالنسبة لي ليست فنّاً، ليس ثمّة فصل بين حياتي وعملي، وشكل الفن هو شكل حياتي وشكل حياتي هو شكل فنّي. أرفض النماذج المصطنعة والقصص التي لا نهاية لها.. نقطة واحدة في المشهد تغيّر اللحظات كلها، الواقع يتغيّر، إنه أمر نسبي.

Twitter: @ketab_n

آليات الكتابة لديّ:

* أكتب (علم جبر) عاطفي.

* عندما أفكّر بامرأة شرقية أرى عدداً لا يحصى من النساء ينعكس من خلال خصائصها.

حزيران ١٩٤٦

جولة لإلقاء المحاضرات: ملاحظات:

إنّ موضوعي الأساس هو العلاقات الإنسانية، فمن خلالها أستقرئ كلّ التباينات وخفايا الارتباطات في لحظات تفجّرها العاطفي وتأزّمها حيث تخفي الكائنات الإنسانية نفسها في الأعماق السحيقة..

وغالباً ما كنت أختار الكتابة عن هذه اللحظات، اختيار أكثر الأوقات احتداماً لأنها تساعدني على تحمّل ضغوط الحدوس.

من هنا أسعى للكتابة عن الحالات النفسية، حالات الكينونة والتسامي والإعلاء لأبرز ماهية المشاعر والأحاسيس، فتجدني مشدودة إلى الموضوعات الأنثوية ولغة العواطف، وكل هذه الثيمات تختلف عن الموضوعات الفكرية، وإذ أصرّ في عملي على: العفوية والارتجال والتداعي الحرّ؛ فإنّني أنكر وجود خطّة للكتابة لدي أو التخطيط لبناء واعٍ للنص.

Twitter: @ketab_n

إن عمليّة الإنشاء الوحيدة لدي هي هذه التي تعتمد ثلاثة أشكال من الفنون: الرسم، الرقص، الموسيقى، لأنّها تتوافق مع الأحاسيس التي أجدها قد تضاءلت في آداب هذه الأيام.

وهذه الأشكال الفنيّة (الفورمات)، هي الأقوى ارتباطاً بالحياة: بالعين، بالجسد، والعواطف. إنّها الحياة التي أكتب عنها، أكتب عنها في أعظم لحظاتها كثافة، عندما تكون المعاني ساطعة كأروع ما تكون.. أكتبُ دوماً عن الحالات النفسية التي يُقال إننا سوف نمسك بها عندما ندرك لحظة موتنا، لحظة اشتداد حدّة الذاكرة، ويتجلّى هذا من استخدامي لليوميات..

كتابة اليوميات تكشف عن عادات كثيرة، عادة الأمانة والصدق في الكتابة، فليس ثمّة من يعتقد أن يومياته سيقرأها الآخرون.. ثمّ هناك عادة الدأب المستمر على الكتابة في الموضوعات الأكثر قرباً من النفس، وعادة الارتجال في كتابة كلّ ما يتمنّاه المرء، ثم عادة العفوية، الحماس، النزعة الطبيعية، ماهية الحاضر العاطفية، احتدام المزاج الراهن، الأحلام وهي تمرّ عبر وجود الفعل وواقعيته، ثم المرور من أقصى الفعل إلى الحلم مرّة أخرى.

ونتج عن هذا التساند بين الفعل والحلم الصورة الأسمى للعيش.. إنني أمتلك القابلية على صنع هذا التنافذ والتبادل وبوسعي العبور من أحدهما إلى الآخر..

إن ما يقوله الشاعر الفنّان شيء سريع العطب وهشّ كالثلج، ولكنه في الوقت ذاته يمتلك قوة الطوفان. فهل ستصبح قوّة المشاعر هي القوة التي تخصّب مدن الغد الكونكريتية العظمى بالماء الضروري؟

المشاعر هي التي تمدّ الجذور بالغذاء، وتفضي إلى ذروة الازدهار والتفتّح وتخصّب ملايين الخلايا التي نراها في الميكروسكوب.

Twitter: @ketab_n

إنّ التمزّق الإنساني الذي يظهر في أعمال (جيمس جويس) وصولاً إلى (مارسيل بروست) هو تفكيك وتدمير للخلايا تحت عين المحلّل، هو انفلاق ذرة اليورانيوم الذي ينتج سلسلة من الانفجارات - ردود الأفعال..

وبوسع الإنسان أن يعيد صنع هذا كلّه عبر العاطفة والإيمان..

لقد ارتحل إيماننا من شيء ما يقع خارج نفوسنا إلى أعماق النفس الباطنية.

أردت في كتابي (شتاء الخديعة) أن أقدّم الخلاصة النقيّة الصافية للشخصية، وخطّطت لتفحّص المزايا القومية فيها، وتفحّص المكان والزمان، لكنّني وجدت أن من الأفضل لي أن أتوغّل في أعماق الكائن الإنساني. أن أغوص في النفس الدفينة داخل أعماقه عن طريق تقديم انطباعات ووصف للمشاعر والأحاسيس مثلما نفعل في التأليف الموسيقي عبر إثراء الحساسية. إنني أسعى للدنو من الحسّ والأسلوب العاطفي الذي نتلقّى عبره تجاربنا..

وتشبه طريقة عملي أسلوب المؤلّف الموسيقي، حيث أبدأ من كلمة أو عبارة تثير تداعيات غزيرة ثم أشرع بالتنويع عليها، أبدأ بالتوسّع والارتجال بهدف استخلاص أكبر قدر ممكن من المعاني.

* عندما افكّر بامرأة لها خصائص شرقية أرى عندئذٍ عدداً لا يحصى من النساء ينعكس من خلال شخصيتها.

إنني أكتب (علم جبر عاطفي)، وقد عاهدت نفسي طوال حياتي أن أبدأ من البداية وأروي القصّة كلّها على نحو بسيط. خطوة خطوة.

ثم أبدأ بالكتابة، وأوّل ما يحدث لي هو تسارع سياق العمل على نحو حثيث، فيصبح إيقاعي لاهثاً، وأتوقّف مرّة أخرى بحثاً عن المثال الأشدّ كمالاً للماهية العاطفية..

Twitter: @ketab_n

لماذا يستخدم الفنّان الشاعر الرمز في قصصه؟ ولماذا يحق لراوي القصة الاعتيادية أن يتأنّى ويتعامل بطريقة مباشرة مع وقائع غير استعارية؟

إن الحقيقة والماهية النفسية تشكلان قاعدة كل ما أكتبه، لكنّني تعلّمت أن واقعنا يُدار على شاكلة ما من قبل (اللاوعي) ويتشكّل في جزء منه من تجاربنا الأولى التي تلقي بظلالها على حاضرنا. بوسعي دائماً تقديم القضايا الواقعية التي أعدّها علّة الكتابة والتي تتموضع الكتابة لدى منابعها.. بوسعي تقديم أنموذج حقيقي: المكان، الزمان، إنما لكوني أشدّد على استخلاص الجوهر فإنّني أقدّم نتاجاً مكثّفاً ويتحوّل هذا إلى حلم، حيث يظهر الواقع بصورة رمزية.

كل شيء أكتبه سيكون قابلاً للتحوّل، ولكن عبر ممارسة هذا الفعل: فبينما يحلّ الإنسان شفرة الحلم سوف يتعلّم لغة (اللاوعي)، اللغة المتاحة.

إنني أختار اللحظة الاستثنائية في الحياة، تلك اللحظات الأرفع لأنّها تكون فعلاً لحظات الرؤيا السامية.. إنها اللحظات التي تتصاعد فيها (قوى اللاشعور) نحو السطح وتظهر، عندئذ أبرز ماهية المشاعر والحواس وأستخدم لغة العاطفة والأحاسيس التي تختلف تماماً عن لغة الفكر..

يتوقّع بعض الكتّاب أن يعرفوا (الفورمة)/ الشكل الذي سيتخذه النّص مسبقاً قبل الكتابة، ولكن أرى أن هذا (الشكل - الفورمة) ليس أمراً يمكن صنعه مقدماً، ولكنّه ينجز من خلال المعنى، من خلال محتوى الكتاب وموضوعه. إن الشكل لدي يقوم على احتدام داخلي يماثل تماماً ما تصنعه الأرض ذاتها في حركتها السرمدية. يحدث ذلك بناءً على الشدّ والتوتّر الداخلي وضغوط الأعماق: التغيّرات الجوّانية للمناخ، وتراكم هذه الظواهر والأحداث الأساسية التي توجد الجبال والمحيطات.

ولأجل أن أكتشف (الشكل) الذي يخصّني عليّ أن أواصل الحفر عميقاً جداً في هذه المنابع الطبيعية للخلق والإبداع.

Twitter: @ketab_n

ومنابع الإبداع هذه كما هي في (الجيولوجيا) تقع في أعمق الأعماق، في مركز الوجود، مثلما تقع تلك الأحداث الجيولوجية في مركز الأرض..

إنّ شئت ذات مرّة الرحيل عبر الظلمات، إلى مركز الأرض، فإنّني سأجد الأحجار النفيسة، المعادن، الصخور، وجميع العناصر الضرورية للحياة. سأجد النار أيضاً، فبدون النار لا يمكن إنجاز أي عملية خلق، فهي التي تصنع الذوبان والاندغام بين العناصر..

النار، الأرض، الماء هي جميع عناصر الإبداع والخلق، كذا العاطفة والتجربة والانسجام بين هذه العناصر..

ذات مرّة فجّرت هذه الينابيع فصارت الكتابة طبيعية كفعل الفناء. ولكن عندما تفدو الكتابة عملية صعبة فذلك يعني أنّني عجزت في الوصول إلى منابع الماء..

إنّ المادة التي سأصنع منها إبداعي تأتي من ممارسة الحياة، من الشخصية والتجارب والكشوفات والرحلات..

هذا الفيض الطبيعي من ثراء العناصر يأتي أولاً، أمّا التكنيك فإنّه يأتي لينظّم هذه الفيوض، ويقوم بنحتها وتشكيلها، إنّما بغير هذا الفيض الأساسي النابع من الغِنى الداخلي للمادّة ينهار كل شيء..

* تعاني (أميركا) من طقوس عبادة الصنعة والتكنيك.. فكل تكنيك هو صنعة أو حرفة تتّخذ من الخارج ولا تنبع من ضرورة داخلية، أو من رؤية عميقة، إنّها تقوم بعمل فوتوغرافي أو تكتفي بالتدوين التسجيلي فحسب، من دون أن تفوز بالحياة..

إنّني أنظر إلى الكتابة على أنها شيء طبيعي تلقائي كطوفان دفّاق، وعندما أرى جدولاً بطيء الجريان ضئيل الماء ومتردِّداً ومكتنفاً بالعوائق، ومهيئاً مسبقاً ومحشواً بالثرثرات أعرف أنّ النبع شحيح فقير.

Twitter: @ketab_n

إن (ثيمة) اليوميات على الدوام هي الشخصية، ولكنّ ذلك لا يعني قصة الشخصية فحسب، وإنّما تعني العلاقات الشخصية مع جميع البشر والأشياء. وإذا كانت الشخصية ذات عمق كاف فإنّها تصبح كونية، أسطورية. أنا لا ألجأ إلى التعميم ولا أمعن أو أستغرق في الأفكار إنما: أرى وأسمع وأحسّ، تلك هي أدواتي الأوليّة للاكتشاف.. وتتطابق هذه الكشوفات مع اكتشافات علم النفس والعلم عموماً (كلّ ما ينشأ عنهما أو يتطوّر منهما).

الوجود حقيقة بالنسبة لتجاربي الخاصة، إذ أني أكتشف الثيمة الأساسية من ثيمات الأدب الحديث: الإنسان الذي يفكّكه التحليل، الكائن الذي تمزّقه الحياة المعاصرة، وتدمّره التكنولوجيا الحديثة. فيبلغ حالة من فقدان الإحساس بالمخاطر التي تهدّد صحته وحياته:

إنّ البدائي والشاعر لا تنفصم علاقتهما مطلقاً.. فعندما بلغ بيكاسو مستوى واثقاً في إبداعه فإنّه كان قد توصل إلى إستلهام الفنّ الإفريقي ليجدّد نفسه.

إنّ المعرفة الفكرية لا تكفي وحدها، هناك الموسيقى، الرقص، الشعر، والرسم التي تشكّل قنوات العاطفة، وعبر هذه الفنون تتسرّب التجربة وتخترق مجرى دمائنا.. أمّا الفكرة فلا..

تبدو كثرة من الكتابات الأميركية مرتبكة حدّ الابتذال بسبب ميلها إلى التبسيط، وإغراقها في الكليشهات التي تدّعي الإخلاص للعالمية، واعتمادها إثارة مبالغاً فيها من أجل استغواء أو استهواء الحواس..

وفيها نوع من غطرسة إزاء (الوجدانيات)، لأن الكتّاب الأميركيين يعتقدون بأنّ الأشياء الاعتبارية والوجدانية ما هي إلاّ ضيق في الرؤية، وهذا لا يمت إلى الحقيقة أكثر من قولنا بأن الوجدانيات وحدها تفضي إلى شكل هائل من أشكال الحياة.. إنما لا شيء يقود إلى شكل أرحب للحياة غير القدرة على النفاذ إلى الأعماق بالدرجة ذاتها التي تتحرك فيها خارج ذواتنا..

Twitter: @ketab_n

ليس مهماً أن توجد الوجدانية أو المادية، بل المهم الحركة والحيوية والتلاؤم بينهما وبين العلاقات الأخرى، فالإنسان الذي يحيا دونما علاقات مع الكائنات الإنسانية فهو ميت، والإنسان الذي لا علاقة له بنفسه ميت أيضاً. إن أكثر المشكلات التي تواجه الروائي هي معرفته بأنّ كل جيل يجب أن يخلق ماهية وجوده ولغته الخاصتين وتصوّراته، وإن كل واحد منّا عليه أن يعيد خلق العالم..

ثمّة بُعد جديد في الشخصية وأنا أواصل السعي لاقتناصه.

إنّ حياة الإنسان في قسمها الأعظم محلومٌ بها، وهذا الجزء يجب أن يُعرّى ويُقتفى أثره ويُلاحق، إنّه الجزء الذي يخصّ ماهية وجودنا، ماهية عواطفنا.

إنني أعمل بواسطة ومضات الحدس وتتابع الإشراقات وفيما بعد ذلك تتكشّف اللحظة المختارة في بناء هائل من التفاصيل.. فيوصف العالم الذي يحيط بالشخصية كما تراه الشخصية مشهداً عاطفيّاً وتأرجحاً، وحركة مستديمة إلى الأمام أو الوراء ضمن الزمن ذاته بسبب من أنّ عوائق ومعضلات الماضي غالباً ما تستولي على الحاضر..

لقد قال (هنري جيمس):

- إنّك إذا قمت بوصف بيت ما وصفاً دقيقاً وكاملاً وموضوعياً وقوياً في جميع تفاصيله، سيغدو من المستحيل على المخيّلة أن تتصوّر ما يحدث في النصّ.. إنّ المقوّمات الشبحية لشخصية البيت هي التي توجد الترابط بينه وبين الجوّ المحيط به (الزمان - المكان - التاريخ - العمارة) وماهية البيت وواقعيته تبتلع اللوحات وراوي القصّة أيضاً.

إنني أسير في الاتّجاه المضاد وأنشد أقلّ ما يمكن من الترقيش والزينات الممكنة.

Twitter: @ketab_n

أورّط الرجال المقرّبين منّي بالسعي لتحرير النساء

من لقاء أجرته معها (جودي أورينغر) لمجلة (رامبراتس)

شتاء ١٩٧١

جودي: في يومياتك سجلت الحياة التي عشتها في باريس ونيويورك خلال الثلاثينيات والأربعينيات صحبت (هنري ميللر) و(أنتونين آرتو) و(اوتو رانك) و(لورنس داريل) وسواهم من الكتّاب والفنّانين الذكور، ما هي مشاعرك باعتبارك امرأة وسط هذه الحلقة من الرجال..؟

أنابيس: كنت في البداية مفرطة الخجل ولم أكن أتكلّم كثيراً في جلسات المقاهي، كنت صديقة شخصية لهنري ميللر وآرتو والآخرين.

كنا جميعنا كتاباً وكانوا يحترمونني لاعتبارين: كوني مبدعة وامرأة..

وفي تلك الفترة كان هنري ميللر وآرتو فنانين مغمورين ولم يكن أحد منّا قد واتته الشهرة أو نال بعض النجاح.. كنا نعرف بعضنا ونتحدث حول الفن والكتابة، نتحدّث كما نتحدّث الآن أنا وأنت.

Twitter: @ketab_n

جودي: تقرأ النساء الأميركيات يومياتك بشغف هائل ويجدن أنفسهن فيها..

أناييس: أتلقى ما بين مائتين وثلاثمائة رسالة أسبوعياً من نساء قرأن اليوميات ومعظمها رسائل اعترافية متفاوتة المستوى، بعض النساء لم يفهمن جيداً ما كنت أحاول قوله في اليوميات، غير أنهن تلمّسن شيئاً ما فيها، وأفترض أنني كنت قادرة على الفصل بين المشاعر والعواطف.. معظم النساء شعرن بما كنت أشعر به ولم يتوصلن جميعاً إلى الفصل بين الحالتين، إنّه لشيء صعب الكتابة حول العواطف والأشياء الحدسية، والغريب أن أولئك النسوة اتهمنني بأنني أخفيت بعضاً من تفاصيل حياتي الخاصة ولم أسجّلها في اليوميات..

عندما كتبت اليوميات كنت أعتقد أن القرّاء توّاقون لمعرفة أشياء عن هنري ميللر وأنطونين آرتو ولم أكن أتوقّع أن يتماهوا معي بهذه الدرجة من القوّة..

جودي: كتبت عدداً من الروايات الجيّدة، ترى ما ميزة أو جدوى كتابة اليوميات؟

أناييس: في اليوميات كنت أمارس الأمانة المطلقة، وأظهرت نفسي في أبعد مدياتها العميقة، وفي اليوميات كنت أختبر فنّي وأدرّب نفسي مما ساعدني على كتابة الرواية. كما عزّزت الروايات كتابة اليوميات التي سجلت فيها نشأتي وتطوّري وتبرعم أفكاري وعلاقاتي الأساسية مع الآخرين أولاً بأول..

جودي: تبدين وكأنّ لديك رؤية رومانسية للعالم وتبحثين عن تحرّر الفرد كما لو أنّه أو أنّها يعيش أو تعيش في عزلة: أو كأنّه يملك أمر وجوده؟..

Twitter: @ketab_n

أناييس: كلا.. ففي كلّ الأحوال أنا أؤمن بالتحرّر.. التحرّر النفسي والعاطفي للبشر.. وكثيراً ما نقع في فخاخ ننصبها لأنفسنا، ثم نلقي باللوم على الأوضاع والظروف، والسبب هو إخفاقنا في الأداء..

ينبغي لنا أن نكون مدركين لأنفسنا وأمناء معها وعندئذ سنصبح مؤهلين للتعامل مع ذواتنا.. أنا لم أتحدّث عن التحرّر من نقطة معزولة..

يخيّل لبعض الناس أنّ ممارسة الاستبطان مع أنفسنا يعني، فيما يعنيه، الانسحاب إلى داخل ذواتنا. وعلى العكس تماماً - إنّه يعني التوغّل في الحساسية الفريدة التي تخصّ المرء والغور في المثال الذي ينشده، وعند ذاك فحسب سيكون قادراً على إقامة العلاقات مع الآخرين.. عندما يكتشف أغوار ذاته.

أرى أنّ التحرّر بالنتيجة - مسعىً جماعي، ومؤكد أن بعض عجزنا وإحباطاتنا تتأتّى من ظروف خارجة عنّا، إنّما علينا أن نتعامل مع أنفسنا أولاً ثم نتصدّى بعدئذ للعالم الخارجي.

جودي: أقدمت الكاتبة (كيت ميليت) في كتابها: (السياسة الجنسية) على تعنيف هنري ميللر ونورمان ملر باعتبارهما خنزيرين شوفينيين جراء معاداتهما للمرأة.. إلخ.. هل تظنّين أنّ هنري ميللر كاتب يعادي المرأة؟

أناييس: بداية، أنا أميّز وأفصل بين حياة (هنري ميللر) وعمله، ليس ثمّة شك في أنّه يكتب عن النساء باعتبارهن موضوعاً جنسياً في رواياته، لكن ميللر قدّم الكثير لموضوعة الجنس لأنّه كتب عنها بحيوية وشغف وقوّة..

يُخيّل إليّ أن النّساء يبددن الكثير من طاقاتهن وهن يسعين إلى إصدار الأحكام ويقررن أياً من الكتّاب الذكور يحطّ من شأن النساء.. برأيي أنهن يجب أن يصبحن مبدعات، خلاّقات ولا يلجأن إلى الهدم والتخريب.

Twitter: @ketab_n

جودي: ما الذي كانت عليه علاقتك مع النساء المتورّطات في (حركة تحرير المرأة)؟

أنابيس: لقد هاجمتني بعض النساء لأنّني كنت خارج الأفق السياسي.. وهن لا يدركن أنني ومن خلال تحرّري الشخصي وحده ومنجزي الإبداعي سأكون قادرة على أن أقدّم نفسي كإمرأة..

جودي: ما هي ردّة فعلك إزاء الانفجار التجاري لموضوعة الجنس في التلفزة؟ أتواجهين الأمر بالغضب؟.

أنابيس: لا.. ولكنّني أستشعر الغضب منذ أمد طويل لإهمال موضوعة الجنس.. كما تعلمين ورثت أميركا جرعة هائلة من (البيوريتانية) من إنجلترا.. ويبدو من الغريب أن يتزامن توقيت اندفاع الرجل الأميركي لمناقشة جنسانية المرأة وتصبح النساء هجوميات وهن يعلنّ الحرب عليهم.. إن رجال ونساء أميركا في وضع خطير تماماً، ولدي إحساس بأن عدم احترام النساء وتقديرهن ناشئ عن كون الرجال والنساء هنا ضحايا المنظومة ذاتها؛ فالرّجال يقهرون ويضطهدون من قبل التنافس الذي يفرزه العالم المحيط بهم بكلّ عدوانيته المتطرّفة. عالم الأعمال التنافسي - فيقومون بالتالي باضطهاد نسائهم في البيوت، يقهرون الكائنات الوحيدة القادرين على اضطهادها.

حقيقة الأمر أنّ للنساء دوراً مزدوجاً: تحرير أنفسهن وممارسة الإغراء.. أن يأسرن أزواجهن ويجتذبنهم من أجل التحرّر.. من أجل تحريرهن بالقدر نفسه.

من خلال العمل وحده يمكنهما معاً تحرير الذات الإنسانية..

إنني أورّط الرجال الذين يكونون معي - دوماً - في مواقفي التحرّرية، وبهذا نشترك جميعاً في صنع حريتنا المشتركة.

Twitter: @ketab_n

جودي: يبدو لي أنك تتحدثين بتحفّظ عن الاستقطاب بين الرجال والنساء والذي تعارضه (النسويات) ممن يدعمن (أحادية الجنس)..؟

أناييس: أريد أن أتحفظ فعلاً على الاستقطاب - أي (التناقض الكامل) إذا كانت هذه هي المفردة فعلاً.. ولكن ليس الاستقطاب بين الرجال والنساء إنّما بين أي اثنين من البشر. أنا لا أقرّ التعامل مع الرجال والنساء على أساس محدودية كونهم ذكوراً أو إناثاً... لقد كانت أمي - على سبيل المثال - تمتلك قدراً هائلاً من الشجاعة والقوّة البدنية ولم يكن يخيفها شيء..

ليس من سبب يدعو الناس إلى التشبّث بقوالب عتيقة وضعت للشخصية الإنسانية على أساس تقسيمها إلى ذكورة وأنوثة.

جودي: لقد تحدّثنا قبلاً عن النساء الفنانات والنساء الكاتبات..

أناييس: نعم، ولطالما أحببت أن أرى النساء يبدعن في مختلف الفنون، أن أرى نساءً يخرجن الأفلام ونساءً رسّامات، إنّه لأمر ممتع حقّاً، إنّما يجب أن نتوخّى الحذر: فقد رُوّضت النساء وكُيّفن ليفكّرن بأسلوب رجالي منذ عهد بعيد، لهذا تجهل كثير من النساء أنهن يكررن النموذج - الصورة التي رسمها وقرّرها الرجال لهن..

وأقدّم لك مثالاً: قامت الكاتبة والسينمائية (مارغريت دورا) بإعداد روايتي (جاسوس في بيت الحب) كسيناريو سينمائي، وتظهر شخصية (سابينا) في كتابي في دور (دون جوان نسائي)، وهي من أولئك النساء المرتبكات ولكن المتحرّرات، غير أن (مارغريت دورا) أظهرتها في الفيلم امرأة عاهرة - وهي لم تكن كذلك أبداً.. كانت امرأة متحرّرة فحسب مثلما يبدو أي رجل متحرّر ولا يُلام على أفعاله..

جودي: خلال سنوات وجودك في باريس هل تعرّفت إلى (زيلدا فيتزجيرالد) مثلاً أو إلى (غرترود شتاين)؟

Twitter: @ketab_n

أناييس: التقيت (غروترود شتاين) مرّة واحدة ولم ترق لي شخصياً، لأنّها كانت تصرّ على فرض سيطرتها وشخصيتها على كل المحيطين بها..

وأمّا (زيلدا) فإنّها عاشت قبل عقد من وجودي في باريس.. عاشت في العشرينات ولم يتسنّ لي التعرّف عليها.

جودي: (سيمون دوبوفوار) امرأة كاتبة ذات شعبية واسعة في البلاد.. ما هو انطباعك عن نتاجها؟

أناييس: أنا أحترم (سيمون دوبوفوار) كفنانة مبدعة، وإلى حدٍّ ما لأنّها نجحت في تجاوز القيود التي تفرضها العقليات الضيّقة.. لكنّي وجدت كتابها (الجنس الآخر) عملاً عتيق الطراز.. وبشكل أو بآخر أجد (سيمون دوبوفوار) دائماً ظلاً لسارتر. ولأجل أن لا تخالف سارتر في (وجوديته) أراها - وكأنّها مثله - تنكر عواطفها وقوّة حدسها فتبدو نساؤها زائفات في رواياتها وغير حقيقيات بالنسبة لي..

إنّما أجد سيرتها الذاتية أكثر صدقاً وأصالة..

جودي: ألم تندمي لأنّك لم تكوني أمّاً؟

أناييس: لا.. مطلقاً، لقد أجهضت مرّة، ثم اكتشفت أنني غير مؤهّلة جسدياً لإنجاب طفل جرّاء العملية الجراحية التي أجريت لي في سنّ التاسعة.

لم أتلهّف للأمر مطلقاً، فأنا أبتكر الكتب وأوجدها، وأمارس أمومتي مع أشخاص أعرفهم، مؤكد أنني لا أفكّر بضرورة أن تنجب كل النساء أطفالاً، أو أن أيّة امرأة لم تمارس الأمومة هي أنثى ناقصة.. يجب أن لا تحسّ النساء أنّهن مرغمات على قبول المحدّدات الرثّة البالية عمّا يجب أن تكون عليه المرأة..

جودي: ربما أن واحداً من أسباب تطوّر حركة المرأة في أميركا هو هذه

Twitter: @ketab_n

الفكرة الأميركية الاستحواذية المتسلّطة عن قوة الرجولة والعدوانية في مجال الأعمال، والتي تترحّل بالتالي إلى العلاقات الشخصية.

أناييس: نعم: الرجال هنا يخشون الإفصاح عن عواطفهم ويخافون قبول التصريح عن ذواتهم. هذا عيبنا جميعاً، الرجال والنساء والأطفال.. كان الرجال الأميركيون دوماً يخافون إظهار حسّيتهم وعواطفهم.. لا يوجد مثل هذا الخوف لدى الرجل الأوروبي، فالرجل الفرنسي على سبيل المثال يمتلك إحساساً عالياً بالجماليات والفنّ ويعبّر عن ذلك دون خوف.

لحسن الحظ يحدث الآن تغيير ملموس على أيدي الشُبّان الذين بدأوا يتحرّرون من المفهوم السائد بشأن الخوف من إظهار العواطف والتعبير عن مكنون النفس.

جودي: ماذا عن المرأة في أميركا.. ألا توافقينني على أنها في الواقع مقموعة أكثر من أختها الأوروبية؟

أناييس: نعم، والغريب في الأمر أنّ النساء الأوروبيات يجدن المرأة الأميركية متحرِّرة وأكثر استقلالية منهن.

جودي: بالطبع نحن نتحدّث عن نساء الطبقات الوسطى من الجنس الأبيض واللواتي يشعرن بأن حيواتهن خاوية من أيّ معنى، ماذا عن النساء السوداوات، ونساء الهنود الحمر؟

أناييس: مؤكّد أنني مع تحرّر جميع النساء، أشعر أنّ دوري محصور في فئة النساء المبدعات اللاتي يجب أن يصبحن رمزاً لباقي النساء مهما اختلفت طبقتهن أو لونهن.. فعندما يعرفن أنّني أنجزت قدراً حقيقياً ومحترماً من الإبداع الفنّي يمكنهن أن يتجرأن وتستمدّ أرواحهن الشجاعة من معرفة أنّ امرأة أخرى حقّقت وجودها بالتعبير الصادق عن ذاتها..

Twitter: @ketab_n

ميللر يعشق بأسلوب بدائي
وأندريه بريتون يخشى المغامرة

الفقر، إنه الحقيقة العظمى..

لذلك يبحث عنه الفنّانون.. إنّه حقيقتي الوحيدة يوم كنت طفلة.. لقد منحني اقتراباً من الحقيقة الإنسانية إلى الأبد، بحثت عنه فيما بعد طوعاً، لكي أبقى قريبة من جميع أصدقائي: هنري ميللر، هيلبا وزوجها الشاعر الرسام غونزالو، موريكاند الشاعر المنجّم والذين كانوا فقراء.. الفاقة لها دلالتها الدينيّة.

لقد مثلت التضحية.

ومن المعتاد أن تكون نتيجة الاختيار بين القيم الفنيّة والروحيّة والأخرى المادية: الفاقة.. إن للفقر مغزاه الروحي.. ولكي أبقى في الفقر كان لا بدّ أن أحرم نفسي الرحلات، والترف، والثياب، والرفاهات، فاكتفيت بالضروريات المجرّدة..

كنت أجد نفسي باستمتاع كبير.

كنت أجد متعة كبيرة في تصوّر (هنري ميللر) يعمل في محترفه مع ألوانه المائية، وأن أرى هيلبا تستطيع مراجعة الأطباء، وغونزالو لديه أوراق رسم، وبدلات يرتديها، أقلّ ما أملك، أغنى ما أكون، كنت أنشد الفقر ولكن عندما رأيت ما فعله الفقر بهنري وغونزالو وهيلبا، استغربت الأمر..

Twitter: @ketab_n

كانت صحتهم قد تدهورت، فلا طعّام لديهم ولا مواد تمكّنهم من العمل وعملهم قد تداعى، وحياتهم خربت وليس من حماية، وأحلامهم تهاوت جميعاً.. لا أوراق ولا رسم ولا آلات طابعة ولا أزياء ولا أدوية.. الآن أعرف ذلك وأكتشفه وأغدو أقرب ما أكون إليه كل يوم.

هل يعني أنّني سأكون أقرب إلى القيم الروحية؟.. أقرب إلى المحبطين والفاشلين لأني أشعر أنّهم ذوي ميزات يفتقدها سواهم من الأثرياء والأنانيين والمتملّقين والمتأنّقين!

لقد ولدت تحت علامة المانحين (برج الحوت)، وسوف أواصل العطاء ما استطعت...

سوف أتخلى عن سفراتي إلى حيث يقيم أبي، وأتخلى عن البقاء في جزيرة (كورفو) مع عائلة لورنس داريل، وفي (مونتي كايتني) مع (هيلين)، ولن أسافر إلى البندقية مع أمي وأخي خواكين.. لأنّي يجب أن أدفع إيجار بيت هنري وإيجار غونزالو، وأن أقوم بإطعامهم. لا شواطئ بعد ولا راحة ولا رحلات استجمام ولا عطلات ولا ثياب سباحة ولا حمامات شمس. ولكنّي سوف أنال أجمل المتع وأنا أرى من أتبنّاهم يعيشون، وغونزالو مناسب تماماً للعيش في الحاضر مما جعله أقلّ احتفالاً بقيم الفن والخلود من هنري.

غونزالو، إنه مباشر، تهمّه اللحظة الراهنة وهذا ما جعله يحيا في الأنشطة السياسية. إنه يعيش الحاضر بأقصى طاقته ويمتلك موهبة رائعة في التعامل المباشر بعواطفه كما تفعل المرأة إذ تستجيب للحياة بكلّ كيانها. أما هنري فإنه على النقيض من ذلك، يعيش غونزالو في الحاضر لحظة بلحظة - فهو يخرج لشراء السجائر وينسى شراء الكبريت فيخرج مرّة أخرى، وبعد برهة يفكر بالخروج لشراء القهوة. وحالما يبدأ الإبداع تظهر الحاجة إلى التخطيط والتفكير بالغد.. لديّ إحساس طاغ بالخلق بالغد بالمستقبل لذلك

Twitter: @ketab_n

لا أبلغ الثمل لمجرّد إحساسي بأنني سأكون أقلّ صحواً وحيوية وأقلّ قدرة على الإبداع في اليوم التالي.

يحب غونزالو بنوع من التكريس التام والنزاهة والتضحية مانحاً كل ذاته لمن يحب.

أمّا هنري ميللر فإنّه يحب بأسلوب بدائي. يستمتع، يأخذ، ينتفع، دون أن يمنح شيئاً من نفسه، كلّ الأشياء يجب أن تكون من أجله ومن أجل عمله ولفائدته الشخصية ومهنته وشهواته ومباهجه..

* حضر أندريه بريتون لزيارتي، توقّعت أنّه سيغمرني بأجواء شاعرية وسيثير بحساسيته فضولي وحدوسي وينشّط أجواء حياتي، لكن لم أجده كذلك: كان رجلاً عقلانياً.

تحدّث عن الأفكار وأهمل الانطباعات والأحاسيس. وسرد عليّ قصّة مناقضة لما كنت أتوقّعه عنه. تحدّث لي عن ألعاب السورياليين وبحثهم عن المفاجأة والدهشة، فكانوا يجتمعون ويقومون بأعمال لم يخطّطوا لها مسبقاً. كانوا يستقلّون القطار ويهبطون في أي مكان مجهول لا يعرفونه، وينتظرون حدوث المفاجأة.. حدوث أشياء تدهشهم.

أو أنّهم يسافرون بالحافلة وفجأة يقرّرون البقاء في بلدة صغيرة وينتظرون اللامتوقع. كان يروي هذه الأقوال بنوع من القدسية والمهابة أشبه بملك يتحدّث إلى الرعية وليس كزميل فنّان يتحدّث إلى فنّان مثله..

لم يكن يتوقّع معلّقين بل جمهوراً مصغياً لما يقول.

قال لي: تلقيت في أحد الأيام رسالة من امرأة. كانت رسالة جميلة تحدّثت فيها عن ولعي بالمفاجأة والدهشة، وأخبرتني أنها تريد لقائي على انفراد تحت جسر (البونت رويال) عند منتصف الليل. ولم تذكر اسمها..

كنت أنتظر بقيّة الحكاية،

Twitter: @ketab_n

قال أندريه بريتون: لم أذهب طبعاً لأنّ لديّ عدداً من الأعداء ولربما كانت الرسالة فخّاً للإيقاع بي.

وعندما لمس كم كنت محبطة إزاء افتقاره لروح المغامرة - أضاف:

- لكنّني ذهبت في يوم آخر.. طبعاً بعد أن كتبت لي ثانية، وكنت حذراً، إذ أرسلت اثنين من أصدقائي المخلصين ليقفا فوق الجسر حيث بإمكاني مناداتهما في حالة حدوث خطر ما.

هذه القصة مع كراهية بريتون للموسيقى كشفت لي ما كنت أظنّه في (السوريالية)، هذا الجزء الذي يتعلّق باعتماد الوعي، والقصدية، والتكنيك العقلاني الذي يقوم به رجل المختبر لا الشاعر.. وهي الأشياء ذاتها التي حالت بيني وبين اعتناق السوريالية.

Twitter: @ketab_n

(خلاصات)

* مأساتي أنني أحب بعمق عظيم، إنّما لا أستطيع التنازل عن الكمال ولا أستطيع العيش كلياً في عوالم الآخرين. لست قادرة على الخضوع، فجزء منّي يظل دوماً: أنابيس نن.

* أرغب أن أكون مع الآخرين، لكن الاندماج وتقديم التنازلات أو القبول بالتسويات يتسبّب في هلاكي..

* الإبداع مجهر يمكّنك من اختبار ومعاينة وجه من أوجه الوجود الإنساني، لكنّه لا يستطيع تقديم الصورة الداخلية للكائن بكاملها..

تبقى اليوميات في هذا أقرب إلى الحقيقة.

* تبقى الحقيقة الإنسانية هي الموضوعة الوحيدة الماثلة في العمل الروائي.

* كل وجود إنساني يشكّل خطراً على كل وجود إنساني: هكذا يقول (د.هـ. لورنس).

* يحتاج الآخرون إلى الثياب والموسيقى واللعب على القيثارات والرسم بأقلام الفحم أو الألوان المائية، يحتاجون إلى اللعب بالكلمات وممارسة ألعاب الفنّ، يحتاجون إلى الخبز والشعر؛ ولكنّي في الواقع أريد التخلّي عن كلّ المتع التي نلتها في حياة الترف، أريد التنازل عنها مقابل المتع الرائعة التي توفّرها لي حياة الإبداع والمنجزات الفنّيّة التي تؤطر حياتي..

Twitter: @ketab_n

- يقول التاويون أتباع (لاوتزو):

- إذا شئت معرفة المرء فعليك أن تلقي به في دوّامة الزمن، ولكن لا تطالبه بالتحليق خارج خطوط التماس من أجل بلوغ الأبديّة.

تقول القاعدة التاوية:

- الفكرة البارعة والحذق يتحقّقان في التنافذ أو القدرة على التداخل بين المتناقضات..

تقول التاوية:

- الحركة الوحيدة المؤكدة في الوجود هي الارتداد: إقذف بشيء ما إلى أقصى مدى ممكن، فإنّه يرتدّ إليك: مثل لعبة (البوميرانغ).

* هناك وسيلة أخرى للوصول إلى ما وراء الخير والشر، هي في حيازة خبرة مستديمة، أو ما يسمّيه (لاوتزو): الفضائل أو الرقّة أو اللطف الأنثوي..

* إنّ كثيراً مما أعلنته في يومياتي ينصبُّ على صراعي مع ادّعاءات علماء النفس والأذكياء من الرِّجال، وقد نجحت اعتماداً على قوّة مشاعري وقدراتي الطبيعية وحدوسي في نقض النظريات والتفاسير التي قدّمها علم النفس عن الرجال..

* هناك البعض من البشر ينهضون ويتعالون فوق الحياة ويغيّرونها ويحرّرون أنفسهم، ومثل هؤلاء لن يكونوا بحاجة إلى ثورة تغيّرهم من الخارج.

* أرى أن الثورة ضرورية لأولئك العاجزين عن الهرب إلى عوالم الإبداع لابتكار عالم متخيّل، هؤلاء العاجزون عن الحلم أو غير القادرين على إيجاد عالم مستقل خاص بهم، بحاجة إلى ثورات مستمرّة..

* في الحب كنت دوماً أنا التي تقع في الفخ، مع أنّني عندما كنت صغيرة

Twitter: @ketab_n

لم ألعب دور الأميرة الطيّبة، بل كنت أتقمّص دور الملكة الشريرة الغامضة الشجاعة.

* في الحب أكون مسحورة مستعبدة دوماً، إنّما يظلّ هناك الجانب الآخر من شخصيتي يبحث كل لحظة عن حيل وبراعات تساعدني على الهرب..

* أنا من القلّة التي يمكنها أن تعلن:

(أنا أحب كل يوم بعنف أشد وكأنّ من أحبّه سوف يموت، أو كأنني سأهلك في الغد..

إنني أحبّ وأحيا بامتلاء وغنى عظيمين، بينما أرى أصدقائي يأسفون ويندمون لأنّهم لم ينجزوا العمل الفلاني، أو أنّهم لم يحبّوا كما يجب، أو لم يمارسوا العطاء في حياتهم..

* التعويل على القصدية والوعي والتكنيك العقلاني هي الأشياء التي اكتشفتها لدى (أندريه بريتون)، وهي ذاتها الأشياء التي حالت بيني وبين القبول بالسريالية أو اعتناقها..

* كيف يمكن العيش في الحاضر عندما لا يكون هناك أحد في هذا الحاضر معي؟..

لا أحد يتقاطع معك، ولا أحد يستطيع الرد على أسئلتك، إنّ الحاضر مصنوع من متعة تصادم جسدين غير سماويين في اندماج سماوي.

* لا تنتظري الحب.. ابتكري العالم.. عالمك الذي يخصك: قفي وحيدة وسوف يسعى الحب إليك..

فأنا منذ كتابي الأوّل أحسست أن العالم الذي أحبّ قد بدأ يتفتّح أمامي.. يقول لي (د. رانك) المحلّل النفسي:

Twitter: @ketab_n

- لقد تعلّم (هنري ميللر منك الثبات)، أما أنا فقد تعلّمت منه السرعة والتغيّر..

الأصدقاء يغيّرون المفاهيم والقيم.

- يمكن للإنسان أن يكون معارضاً لا متناقضاً، لأن الإبداع سيكون مستحيلاً في حالة التناقض، لا بدّ للإبداع أن ينحاز، فهناك مدى بين النسبية والتعارضات الهدّامة..

Twitter: @ketab_n

مأساتي أنني أحب بعمق عظيم، إنّما لا أستطيع التنازل عن الكمال ولا أستطيع العيش كلياً في عوالم الآخرين. لست قادرة على الخضوع. فجزء مني يظل دوماً: أنا يس نن.

أرغب أن أكون مع الآخرين، لكن الاندماج وتقديم التنازلات أو القبول بالتسويات يتسبّب في هلاكي..

الإبداع مجهر يمكّنك من اختبار ومعاينة وجه من أوجه الوجود الإنساني، لكنّه لا يستطيع تقديم الصورة الداخلية للكائن بكاملها..

تبقى اليوميات في هذا أقرب إلى الحقيقة.

ISBN 2-84306-166
9 782843 061660